نكهـــات

نكهـــــات

مجموعة قصصية

مجموعة من المؤلفين

اسم الكتاب: نكهـات

اسم الكاتب: مجموعة من المؤلفين

تدقيق لغوي ومراجعة: يمنى جاد – إيمان محمد

تصميم الغلاف: سـارة علـي

الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم

الطبعة / الأولـى – ٢٠٢٠

رقم الإيداع: 2020 / 9296

للنشر والتوزيع
Arabic Library

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

المقدمة

لكل نكهة لون..ولكل أسلوب فن

أحاديث...وكلمات

كونت الحب والحرب

الأرض والدمار

جميعها نكهات

لكنها مختلفة الإسم والمسمى

شواهد القبور

مرفت أمين

(ادفن مخاوفَكَ وتناولها بالنكهاتِ)

كان ذلك إعلان لإحدى محلات الحلويات الشهيرة في البلدة، وقد أثار جدلًا كبيرًا، فالجميع أصبح بانتظار اليوم الذي تحدد بعد أسبوع من إطلاق الإعلان لكي يعرفون ماهيته.

جاء اليوم المنتظر وتجمَّعت حشود كبيرة من الناس أمام المحل ودلفوا هناك بشوقٍ، وجدوا ثلاجة كبيرة مخبأة بلافتة إعلانية كبيرة وقد كُتِب عليها نفس عبارة الإعلان..

وبعد لحظات تمّ إسدال الستار عن تلك الثلاجة، فشهق الحضور لمّا رأوا تلك الثلاجة مليئة بقطع الجاتوه، ولكن ما أثار صدمتهم هو شكل تلك القطع، فقد كانت عبارة عن شواهد قبور وقد كُتِبت عليها بعض العبارات بألوان مختلفة!

انتفض البعض بينما البعض الآخر شعر بالحماسة لخوض تلك تجربة.

وقبل أن يرحل المتعضون أوقفهم صاحب المحل قائلًا: انتظروا لحظة! لن يرحل أحدٌ منكم قبل أن يتذوق مخاوفه، لربما استطاع التغلب عليها.

ردَّ أحد الحضور وقد كان شابًا في مقتبل العمر: هل تناولي لتلك الحلوى الكئيبة هو ما سيجعلني أتغلب على خوفي؟ هذا هراء.

صفَّق الرجل لذلك الشاب: أُقَّدر شجاعَتَك تلك! ولكن ما المشكلة؟ جرِّب ولن تخسر شيئًا.

ثم اتجه بنظراته لكلِّ الحضور وتكلم: كلُّ شخصٍ لديه خوف يسيطرُ عليه ويعيقُه عن التقدم خطوة للأمام، والآن اختر خوفك وتناوله، خطوة قد تكلِّفك بضعة جنيهات إلا إنها ستدر عليك النفع مدى الحياة، فوراء كلِّ خوف بابٌ رائعٌ يطل على متعة أروع!

بدأَ الحضورُ يلتفتُ إلى الثلاجةِ مرةً أخرى وقد شعروا بالحماسة وبدأ كلُّ منهم يختار مخاوفه. تلك المخاوف المدونة على شواهد القبور،

وقد كُتِب عليها بعجينةِ السُّكر أسماء بعض المخاوف: (الفقر – الموت – المرض– الفقد – الظلام) وغيرها من المخاوف التي تسيطر على حياة البعض.

دقائق واقتربت منه فتاة تبدو في العشرينات، وقد كانت رائعة الجمال بعينيها الخضراوين وشعرها الأشقر وملابسها التي تدلُّ أنها من الطبقة الأرستقراطية، نظرت إليه بمرارةٍ: نسيت واحدًا من أهمِّ المخاوف!

ردَّ صاحب المحلِّ والفكرة المدعو "خليل العدوي" بترقب: وما هو؟

– الخوف من الحبِّ.

– ذلك الشيء الوحيد الذي لا يمكن التغلب عليه إلاّ من الداخل.

ثمّ أشار إلى قلبها وأكمل: يجب أن تنبع من هنا، فالحب لا يمكن هزيمته مهما حاولت بل على العكس بمحاولتك المقاومة ستخسر الكثير.

– ما الذي سأخسره؟

خليل وقد امتلأت عيناه بالدموع: الكثير: الوقت، السعادة، وربما تخسرين نفسك!

نظرت الفتاة بحزنٍ: وماذا سأفعل الآن؟

تحرك خليل بخطواتٍ هادئة إلى إحدى الثلاجات القريبة منه وأخرج منها قطعةً صغيرةً وقربها منها: ذلك هو ما تحتاجينه.

أمعنت الفتاة النظر في القطعة التي كُتِب عليها: "الخوف من التجربة"، ثم تساءلت بحيرةٍ: لمَ هذه؟

- حياتنا عبارة عن مختبر كبير تجري فيه مجموعة من التجارب، البعض منها يصيب والبعض منها يخطئ، ولكن إذا لم تجرِ تلك التجارب فلن يتغير شيء ومع الوقت سيتقدم الجميع إلا أنتِ ستظلين واقفة مكانك لا تتحركين إلا للتراجع إلى الخلف، وأنتِ لا تزالين صغيرة، عيشي التجربة بحلوها ومرها، واستمتعي بحياتكِ يا فتاة!

ابتسمت الفتاة لخليل بسعادة: أشكركَ كثيرًا، وقبل أن أغادر هلا أجبتني على سؤال مهم؟ ما سرُّ تلك القطع؟ هل أنت ساحر؟

خليل ببساطة: بل على العكس، كلُّ ما في الأمر أنَّ الخوف أحيانًا قد يعيقك عن اتخاذ القرار السليم، ولذلك فكرت في تلك الفكرة، كي تكون هي الحجارة التي تحرك الماء الراكد للبعض ليبدأ في التساؤل والتفكير في تلك المخاوف بشكل إيجابي، إذا ما أراد علاجها سيفعل، وإذا لم يرد، فيكفي أنه قد واجه نفسه للمرَّة الأولى بتلك المخاوف، والمواجهة هي أول خطوة للعلاج.

غادرت الفتاة بعدما وعدته بلقاءٍ جديد. أما هو فجلس يتابع حركة البيع والشراء، وقد شعر بالسعادة فالفكرة قد نجحت. لاسيما مع الشباب، كان يتأمل الحاضرين عندما سقطت عيناه على الجريدة الموضوعة أمامه، تأمَّل التاريخ، ثمّ سرعان ما شعر بالصدمة وقد شحب وجهَه للغاية! أخذ مفاتيح سيارته بسرعة وغادر تاركًا المكان، مما أثار استغراب الحاضرين.

ظلَّ يسيرُ بسرعةٍ كبيرةٍ حتى وصل إلى المقابر، وهناك دلف إلى مقبرة عائلة المنصوري، وقف أمامه يتأمله بنظراتٍ مريرةٍ خاليةٍ من

الحياة خاصةً وتلك العبارة تزين شاهد القبر: الحب للشجعان وأنتَ كنت جبانًا.

ليُحدث ذاته بحزنٍ ومرارةٍ وقد سقطتْ دموعُه بغزارةٍ: كدتُّ اليوم أن أنسى ذكرى وفاتك يا فاطمة! مرَّت خمسة أعوام ولازلت على نفس إحساسي وقتها، ألعن نفسي مائة مرة في اليوم لأنني تركتك، ألعن خوفي الذي كبَّلني وقتها، اليوم صنعت كعكتك الأخيرة، تلك التي صنعتيها من أجلي ولم أفهم وقتها ماذا أردت أن تقولي..

*****

عاد بالذاكرة للوراء خمسة أعوام ماضية، عندما صنعت له فاطمة كعكة على شكل قبر ووضعت على الشاهد اسمها، لم يهتم هو للحظة أن يسألها عن السبب، بل تعجب من هيئة الكعكة وظلَّ يسخر منها كثيرًا، ثمّ تناولها بتلذذٍ بينما هي وقفت تتأمَّله بحسرةٍ، لتنتحر بعدها تاركةً إياه وحيدًا بعدما أرسلت له رسالة بأنها تحمَّلت منه الكثير ولكن بلا فائدة، هو كان يدَّعي القوّة، إلاَّ إنه كان جبانًا يخشى التعبير عن مشاعره، ولذلك سيكون عقابه أن يحيا بندمٍ لبقية حياته..

وأنهت خطابها بعبارة: "متّ حين مات الحب، لم يكن الذنب ذنبي ولا ذنب الموت، لكنه ذنب من يختار أن يعيش جبانًا دون حب."

لازالت تلك العبارات تدور في رأسه وهو يُمَنِي نفسَه أن تتحقق تلك الأمنية المستحيلة وتعود للحياة مرة أخرى، لكي يخبرها أنه يهيم بها عشقًا، ولكن الحياةَ لا تعطي الفرصة مرتين. الآن فات الأوان. الجميع يخبره أن ينسى ولكن كيف ينسى وشاهد القبر على إثمه وخطيئته شهيد؟

الباب المُغلق

د. سفين سعد

حاجة لله.

أكثر ما يُكدرني في ذهابي لمنزل صديقي عاطف هو كمية الشحاذين، الذين ما إن يروك حتى يندفعوا مثل سيل يهوي من قمة جبل، يتقاتلون، ويتكالبون، والنهاية بالنسبة لي واحدة: الله يحنن.

أغضبني ذلك الطفل الذي يدعي العرج حتى لكزته بقوة، كأن ضيق الأيام السابقة قد انبثق في كف يدي وهو يلكزه.

حرام عليك.

جاء صوت عاطف مشحونًا بنحنحة طالما رأيتها في عينيه كلما يرى تلك الأشكال.

أخرجَ نقودًا من محفظته، وحدق بعينيه في من حوله، تأكد من عدم متابعة أحد له، ثم أعطاها للطفل: سامحه، لم يقصد أذيتك.

اقتربتُ منه بزاوية تقطع الطريق أمام الطفل: أقصد، وإن كررتها سوف أجعلك تعرج، لكن هذه المرة ليس تمثيلًا كما تفعل.

ركبنا الميكروباص في طريقنا إلى حفل زفاف أحد أصدقائنا، قفزتُ نحو الكرسي الخلفي بجوار الشباك جهة اليمين، وحشرت عاطف في الوسط بيني وبين سيدة تفوح منها رائحة عفونة القبور.

فتحتُ الشباك، تنسمتُ هواءً طازجًا هاربًا من خلف الجبانة القابعة بجوار موقف السيارات.

محتاجة مساعدة.. ابني مريض.

أخرجتْ صورًا لتحاليل وأشعة، وهي تمسح عرق وجهها بخمارها.. جاءت إجابتي عاجلة كعادتي، أغلقتُ الشباك في وجهها وأنا أشيرُ لها بيدي لتنصرف، مد عاطف يده، وهي تُطبق على مبلغ لم أره، محاولًا فتح الشباك لولا ضربي له ومنعه من ذلك، أشار للسيدة أن تلف من الجهة الأخرى، تزحزحت السيدة التي تفوح منها رائحة القبور للخلف قليلًا معطيةً مجالًا لعاطف لكي يمد يده من الشباك، أغمضتُ عيني حتى لا أُكمل المشهد.

تحرك الميكروباص، رحت في عالم ما بين النوم واليقظة، رغم نومي إلا إنني كنت أسمع جميع الأحاديث من حولي.. سمعت حوار

عاطف مع السيدة التي على يساره، وحديث السائق مع الراكب الجالس جواره، وأحاديث أخرى لم أتذكرها.

انتقلت من ذلك العالم إلى الظلام القاتم، حتى رأيت الطفل الذي لكزته، يطلب من والدته الكفيفة أن تنزع له طرف رجله الصناعي، ثم جاءت المرأة التي تمسك التحاليل والأشعة لتجلس بجوار الطفل.

رأيت نورًا بهيًا يُحيطهم، طرقت حاجزًا زجاجيًا يفصلني عنهم، اقترب مني الطفل، تقدم نحوى مجتازًا بابًا لم أره من قبل، لكزني، سقطت على أرضية تغلي فوقها نار لا أرى مصدر إشعالها، تحاملت وأنا أكتوي، رأيت بابًا آخر مفتوحًا، تحركت وأنا أجرّ رجليَّ نحوه، ما إن وصلت حتى أغلقته السيدة وأسندت خلفهُ تحاليل وأشعة ابنها المريض، حاولت دفع الباب بكل قوتي، لكنني لم أستطع.

شعرت بقوة تدفعني للخلف وظلام يحوم حولي، ونار تتسرب داخلي قوتها أضعاف مضاعفة من النيران التي راحت تحيط بي.

رأيت عاطفًا قادمًا من بعيد، اقترب من الباب.

إنه مغلق.

أخبرته قبل أن يفتحه.. نظر نحوي مبتسمًا، دفع الباب، وانفتح! دخل، طلبت منه أن يتركه مفتوحًا حتى أدخل، لكنه لم يستمع إليّ، بدا أنه في عالم غير عالمي.. ركضت بأقصى ما عندي من قوة، مددت يدي نحو الباب، لكن عاطفًا ضربها ومنعها من محاولة دفعه.

تقدم نحوه الطفل بعد أن وقف سليمًا دون عرج، وسيدة الأشعة بجواره، قابلاه بابتسامة تفوح حولها رائحة الياسمين، بينما أنا كنت أقاتل رائحة عفن الأموات التي كانت تنبعث من كل ذرة بجسمي.

رفعت عيني فزعًا مع اصطدام السائق بمطب أزعج الجميع، وأنقذني من العذاب الذي شعرت أني لن أنجو منه للأبد.

بعد أيام رأيت الطفل الذي يعرج يتقدم بحماسٍ وهو يجرّ رجله خلفه، تجاوزني بعد أن رمقني بنظرة نفور، وقف أمام عاطف متهللًا كغريقٍ وجد طوق نجاته، اقتربت منهُ، مددت له يدي، تخشب أمامي مثل لوح ثلج ينز عرقًا من وجهه الملائكي، لم يمد يده لي إلا بعد أن أومأ له عاطف موافقًا.

بحثت كثيرًا عن سيدة التحاليل خلال الأيام التالية لكني لم أجدها.. كنت أراها في أحلامي وهي تُغلق الباب في وجهي.. مازلتُ خائفًا منها، لم ترض عني ولم تسامحني.. مرت سنوات لا أتذكر عددها، وما زالت يدها تغلق الباب في وجهي ولا أدرى كيف أُرضيها؟

ذكرى بيانو

للكاتبة إيمان صلاح

أعلم أن البعد لا يمكنه أن يفترس روحي، حتى إذا كانت بيننا هذه المسافة قريبة أو بعيدة - أنا لا أعرف - ولكن هي لا تعني شيئًا بالنسبة لي؛ فمنذ رحلتَ عن بلدتنا وأخذت مع حقيبتك والبيانو قصتنا وأنا لا اكترث كم يفصلنا من وقت حتى نصل إلى بعضنا بل يهمني أنني مازلت أضع قُبلتي على جبينك سرًّا في الحلم وأنت نائم تُشبه الملائكة.

أصبحت حياتي تُشبه مفاتيح ذاك البيانو، يومًا أبيضًا عندما تأتي بمنامي ويومًا أسودًا كلما تذكرت الرحيل المباغت، لطالما عزفت على البيانو ألحانًا رائعة كنت أستمع لها من شرفة بيتنا الكبير الكائن أمام منزلك وأحيانًا أتسلل عبر حديقتنا لأنصت جيدًا للعزف وأحفظ تلك النغمات في ذهني وقلبي.

ومنذ ذلك الحين كنت والبيانو سري الكبير، حتى جاء اليوم الذي رأيتني فيه وأنا أختلس السمع مغمضة العينين أستنشق نسمات

الصباح ولحنك يحيط بي من كل جهة وكأنه فراشات ذات ألوانٍ رائعة، إنه أمر مبهج للغاية أن تحبي عازف بيانو من بعيد، فتحت عيني عندما وجدتك توقفت عن العزف فرأيتك تنظر إليّ وعلى وجهك ابتسامة رقيقة، شعرت بأن الزمن توقف في تلك اللحظات وأنا واقفة في الشرفة لا أجد شيئًا أفعله سوى أنني ابتسم أيضًا، ثم رفعت يدك اليمنى للتحية ففعلت مثلك حتى قطع ذاك المشهد صوت الخادمة وهي تقول: سيدتي، هل أُحضر الفطور هنا بالغرفة؟

خرجت مرتبكة من الشرفة سريعًا حتى لا يُكتشف أمري فأنا كنت حريصة ألَّا يعرف أحد سري حتى أنت ولكنك عرفت.

لا أريد فطورًا، أحضري لي فنجان قهوة.

أخذت رشفة من القهوة بعدما وضعتها على الطاولة وذهبت وأنا أتصفح الجريدة أمامي ولكن في الحقيقة لا أقرأ شيئًا، أحاول أن أتذكر ملامحك وأنت تنظر إليّ باستغرابٍ شديد ثم أهديتني ابتسامة منحتني سعادة كبيرة في يومي..

لم أحاول يومها واليوم التالي أن أقترب من الشرفة فأنا أخشى أن أراك مرة أخرى ولكنني سألت الخادمة عندما أحضرت الغداء: أسمع صوت بيانو منذ فترة ليست بقليلة هل تعرفين من أين مصدر الصوت؟

نعم يا سيدتي إنه ذاك الشاب، يسكن في المنزل الذي أمامنا..

ومن هو هل جاء إلى البلدة مؤخرًّا؟

جاء منذ شهرين واستأجرالمنزل.

صمت وحدثت ذاتي أن أكف عن الحديث حتى لا يُفتضح أمري حتى قالت قاطعة الصمت: يقولون في البلدة أن زوجته ماتت وظل يعزف الألحان التي تحبها ولكننا لم نشعر بضيق أو انزعاج منها.

ثم اقتربت مني أكثر هامسة: ولكن سيدي عندما سمعه بالصباح قال: "من أين يأتي هذا الصوت إنه شخص لا يشعر بالجيران" وبدا عليه عدم الارتياح.

وعادت كما كانت ثم سمحت لها بالانصراف. والدي لا يعرف العاطفة، منذ رحلت أمي عن عالمنا وتركتني وهو يحبسني بالغرفة لمدة

أيام كعقاب على أي شيء حتى وإن كان صغيرًا. أبي هو من يتحكم في كل شيء بحياتي لأن شقيقي تمرد عليه في الماضي وهاجر إلى بلد أخرى فهو لا يريده أن يمسك زمام أموره بدلًا عنه، لذلك يخشى من تمردي أنا الأخرى فيكثر من حدته معي حتى قال لي ذات مرة أنني لا أملك حق اختيار من سأتزوج، هو وحده من سيفعل هذا، لم أرد على حديثه وقتها واحتفظت بكلماته داخلي. ثم تذكرت حديث الخادمة، هي بالفعل قالت أنَّ زوجته توفت.

كيف كان حالك حينها؟ أعتقد أنك تعبت كثيرًا بعدها كما حدث لي عندما ذهبت أمي.

على ما يبدو أنها كانت سيدة تتسم بالذوق الرفيع لأن جميع الألحان التي عزفتها رقيقة للغاية، تشعر معها كأنك طائر بأجنحة تُحلق في السماء دون قيد أو حدود. لماذا تُحركني نغماتك أنا لا أفقه الحب. حب؟!

هل من الممكن يحب المرء شخصا لا يعرفه!

لكنني بالفعل شعرت بالحب تجاهك، لا يمكنني نفي الأمر.

أخشى أن يتدخل أبي ويحاول أن يبعدك عن البلدة بعلاقاته لأن الموسيقى تزعجه.

ليتني ما سألت الخادمة، الآن هي تشك في أمري ومن المحتمل أنها ستتحدث لأبي عن سؤالي.

أخذت الأفكار تطوقني حتى شعرت بالنعاس ونمت على وسادتي وأنا أتمنى أن أرى أمي بمنامي لترشدني ماذا أفعل.

غرفة يبدو أن أحدًا لم يدخلها منذ زمن؛ الأتربة في كل مكان ونافذة مفتوحة يعبث الهواء الشديد بها وتطير الستارة إلى الخارج من حدته، وفي الزاوية بيانو عتيق من طراز قديم جلست على الكرسي وأمامي البيانو أضغط عليه بأصابعي بشكل عشوائي حتى رأيتك تتقدم نحوي وتعلمني كيف يكون العزف.

كان الحلم رائعًا حقًا. عندما استيقظت وجدتُ نور الشمس يُغرق غرفتي ويغمر قلبي، لقد عاد الحلم للمرة الثانية ولم أقوَ على عدم رؤيتك، حتى أنني لاحظتُ أنك لم تعزف طيلة الأمس، ذهبتُ حتى أراك ولكنني لم أجدك فعبس وجهي ثم نظرت للورد في الحديقة

بالأسفل ووجدتها بديعة، فكرت أن الورد لا يريد شيئًا سوى الرعاية حتى لا يذبل، وبين كل هذه الأفكار عدت ببصري لألمحك وأنت تُزيل الغبار عن البيانو ثم نظرتْ نحوي ودخلت شرفتك، شعرت أنك تريد التحدث ولكن لا تعرف من أين تبدأ وكيف سنسمع بعضنا، فأشرت إليّ بإشارة تعني أن نتقابل بالخارج، من فرط سعادتي هززت رأسي بالموافقة ثم ركضت مسرعة وأنا ارتعد من الخوف عليك وعليّ؛ إن علم والدي فمن الممكن أن يتسبب في مغادرتك من هنا، أنا أعلم ذلك جيدًا.

لكنني أريد حقا أن أقابلك، فأزحت الستارة الضخمة التي تغطي شرفتي لأجدك واقفًا تنتظر، فضحكت ضحكة حفيفة وذهبت في محاولة أن أنادي الخادمة حتى جاءت: هل تريدين شيئا سيدتي؟

أنا أعلم أن أبي ليس هنا وأنه سافر لصفقة عمل، فأنصتِ لي جيدًا، أنا أريد أن أنزل للخارج دون علمه.

ولكن...

أنا على يقين بأنكِ لم تتحدثي بشيء، هل يعجبك هذه المعاملة وكأنني متهمة بداخل قفص؟

لا بالطبع.

إذن اسمحي لي وأنا أعدك أن أرجع سريعًا.

بالكاد تمكنت أن أقنعها وخرجت كعصفور أخذ حريته للتو بعدما زينت نفسي وارتديت فستاني الوردي الأنيق.

وتقابلنا في النهاية، هناك بالحياة أشياء جميلة كالحب، هي التي تجعلنا نعيشها دون التفكير في الأشياء المحزنة.

حدث أكثر من مرة على فترات متباعدة أن تقابلنا وكانت الخادمة تعرف بذهابي ولكنها لا تعرف أين أكون، كنا نجلس وأمامنا البحر يستمع لحديثنا وكأن الأمواج تتراقص فرحة بالحب الجديد، نتبادل النظرات التي تكشف عن الحب بقلبينا.

حكيت لك عن أبي وحكيتَ لي عن زوجتك وحبك لها وأنها من وقفت بجانبك حتى ماتت فجأة وهي في سن صغيرة.

عرضت عليّ الزواج رغم علمك بشخصية والدي، أخبرتني أنك ستحاول كسب رضاه، فوافقت على حديثك والأمل يشرق من باطني، ثمّ عدت للمنزل ووجدت أبي يستقبلني وملامح وجهه محتقنة تقدم نحوي بغضب و جذبني قبل أن أتكلم ولطم وجهي وبعدها حبسني لمدة لا أعرف كيف مضت حتى أنه استبدل الخادمة بأخرى وأعطى لها تعليمات أشد من السابقة.

عرفت أنك جئت لخطبتي ولكن رفض أبي وأقسم أنه سيبعدك عن هنا بشتى الطرق وفي كل مرة كنت تحاول يزداد أبي تعنتًا.

حتى غادرت بالفعل ولا أعلم كيف ومتى ولكن الموسيقى توقفت وأطبق الصمت على المكان فكتبت بدفتري كل يوم خاطرة تبوح بما داخلي لأحتفظ بها سنواتي القادمة:

"أنا هنا يا رفيق يفصلني عنك الماضي،
وأنت هناك يفصلك عني ذاك البحر العميق،
ولكننا نلتقي بالحلم وبيننا خطوة."

"أفتقد بريق تلك النجمة يارفيق، لقد حدثتها كثيرًا عنك حتى تخيلت أنها حفظت قصتي معك من الضياع والنسيان لتصبح عالقة بالسماء البعيدة، نقطة صغيرة في الكون الفسيح."

"على المقعد وشاح لونه قاتم لسيدة،
على ذات المقعد رائحة حب.
البيانو العتيق لفظ نغمة أخيرة.
يمر سرب من الطيور لا مقصد له بالسماء.
أيها القادم من زمن بعيد،
ضع حقيبتك،
وفتش عن ملامحك الضائعة،
ربما تجدها،
كانت هنا حكاية ما
تنفض عنها غبار السنين.

حكايات لم تروها جدتي

أحمد سلطان

تحكي لي جدتي حكايات بعضها يصدق، وبعضها لا.. تروي خرافات، وأساطير، ممزوجة ببعض العبر والمواعظ وذلك لا يثيرني لكنها مسلية، تكسر بعض الأوقات المملة، مملة بسبب أصدقاء عابثين، سطحيين، وحبيبة لا تهوى إلا ألعاب البنات وأكل الشوكولاتة، لا تعرف اهتماماتي أو احتياجاتي، تحكي لي جدتي حكايات سمعتها في صباها، وشبابها، وذلك لا يعنيني، تسألني بعد كل مرة: أأعجبتك الحكاية؟

نعم يا جدتي.

أصدقائي يحبون البحر، رغم أن هناك رحل أغلاهم وأعزهم على قلبي وقلب بلدتي، لكنهم ما زالوا يحبونه، نادوني للذهاب معهم، للرحيل معه، لكني اعتذرت والحجه أن جدتي تناديني. ذهبوا، وعادوا بدونه باكين، أما هو كان مبتسمًا حين ودعني في رحيله معهم، مر يوم والآخر وعاودوا الذهاب إلى البحر. بدأت الحكاية بواحد يذهب في

الخفاء، ثم ازدادوا واحدًا بعد واحد إلى أن اكتمل العدد إلا واحدًا. منذ ذلك اليوم لم أعد أصاحب أحدًا خوفًا ألا يعود معهم، تنظر لي جدتي: أأعجبتك الحكاية؟

أكسر الحزن بابتسامه: نعم يا جدتي.

حبيبتي دائمًا تعشق اجتماع البنات حولها، يلعبون ألعابهم الممكنة: (فتحي يا وردة، غمضي يا وردة - ستيتة - حنجليكة ونط الحبل)، كان الخبثاء من الأولاد ينتظرونهن حين يقفزن من أعلى الحبل، هذا النهد كبير أما هذا صغير، تلك المؤخرة جذابة، وهذه تلفت فقط الأنظار، أما أنا لم أجد نفسي بين صديقاتها، أو بين أصدقائي، لم أجد نفسي معها، بما تبقى من مصروفي في اليوم أذهب لأشتري لها الشوكولاتة، تأخذها بعد عدة لحظات وهي تتفقد القطعة، تنظر إليّ مبتسمة، تشكرني وتختفي وسط غبار الأتربة المصنوعة بواسطة ألعاب صديقاتها، تشاركهن المرح. لم يكن فرحي في حسبانها، ما هي ألعابي؟ ما هي تفضيلاتي؟ تسكت جدتي واضعة يدها علي رأسي وتمسح عليها: أأعجبتك الحكاية؟

أرد عليها خجلًا: نعم يا جدتي.

جدتي لم تعد ترى الحياة كما هي، في صباها كانت جزءًا من الأحداث، في شبابها استطاعت أن تأخذ القرارات فأصبحت صانعة لها، أما في شيخوختها أصبحت شاهدة عليها، لا تملك إلا أن تبتسم في أوقات حزنها وفرحها، تندم أحيانًا، تفخر كثيرًا، تنظر لي واضعة يدها علي صدرها قائلة: لولاي ما كان هذا هنا.. ما كانت هذه هناك.

أبتسم لها: عظيمة أنتِ يا جدتي.

جدتي لم تعد ترى الحياة كما هي، لقد ضعف بصرها عندما امتهنت حياكة الملابس لأولاد الجيران، سعت لتلبية متطلبات الحياة وأهملت متطلباتها في علاج ضعف البصر، انشغلت بكيف يراها الآخرون ولم تهتم بكيف هي ستراهم.

جدتي لم تعد ترى الحياة كما هي، انشغال من جعلَتهم كل انشغالها عنها جعلها تشعر بسقم الحياة ومدى دناءتها، جدتي لم تحكِ أجمل وأروع قصصها، بل جعلت الأخرين يحكونها عنها.

دائما تفهمني، تعرف ما هي اهتماماتي، تحب أشيائي، تناديني.. تحكي عن أبطال يشبهونني، أسماؤهم كاسمي، حياتهم ليست كحياتي، بعد انتهاء كل حكاية تروها لي أنظر لصدق محبتي في عينيها وهي تقول: أأعجبتك الحكاية؟

أهرب من نظراتها لصدق مشاعري إلى أصدقاء عابثين سطحيين، وحبيبة لا تهوى إلا ألعاب البنات وأكل الشوكولاتة، أتذكر حكايات لم تروها مازلت أسمعها عنها، أبتسم لها قائلًا: نعم أعجبتني حكاياتك يا جدتي.

كل هذه الوجوه لا أعرفها

د.منال الدغار

في صمت سرت عاريًا و بين يدىّ أكفانى، تسللت نسمة باردة فى ذلك الصباح الباكر إلى جسدى الذي لا يغطيه إلا أقل القليل، وتحولت إلى رجفة قاسية تجاهلتها وأنا أنحنى ببطء وأتمدد على الرصيف وقد أغلقت عينىّ. تدريجيًا أحسست بأصوات غريبة حولى، أحسست فجأة وكأن الحياة من حولي تصرخ، أبواق وسيارات وبشر يعدون هنا وهناك، كنت أتأمل ما حولى من بين جفنىّ المسدلين وأنا أشعر أن الزمان قد توقف بى فى مكانى هذا، داهمنى شعور قاتل بالخوف؛ من هؤلاء؟ لِمَ يسرعون من حولي هكذا؟ لِمَ يسرعون من حولي هكذا؟ لِمَ لا يتوقفون لحظه؟ ما هذا؟ وحش غريب يراقبنى..

انتفضت جالسًا والذعر يهزنى، وأنا أشاهد عينيه القاسيتين وهو يتقدم نحوي، يتقدم ويتقدم، وأنا عاجزعن الحركة، لأننى ميت! فى سكرة الاحتضار الأخيرة، أحسست بيد تمسك ساعدي وبآلة حادة تمر

على الشريان الأزرق الصغير، وفجأة.. تتدفق الدماء، المزيد والمزيد، وتغطي الكفن الأبيض وترسم خريطة حياتي. تملكني شعور غريب بالنشوة واللذة والألم، وأنا أرى الدماء تتفجر وتتفجر، وتلطخ الثوب الأبيض، كدت أضحك عاليًا، ضحكة ترسبت مرارتها على أنفاسي لولا أننى فجأة.. ما عدت أرى ما حولي..

لماذا حاولت الانتحار؟ أتسمعنى؟ لماذا حاولت الانتحار؟

أحسست بدوار مؤلم يلف رأسى وأنا أحاول أن أربط الصوت الذى أسمعه بالصورة الهاربة من أمامي، كنت أرى جسدًا أمامي لرجل ليس له وجه، بل لمحات تختفي وتجيء. عجباً! لقد سرق أحدهم وجه هذا الرجل، يجب أن ألفت انتباهه إلى ذلك، وقبل أن أفعل وجدته يعطيني ظهره ويتناول مقعدًا ليأتى بجانبي ويجلس، يا للعجب! لقد جاء بوجه معه، لا بدّ أنه كان قناعًا موضوعًا على المقعد.

تستطيع أن تعتبرني صديقك، تستطيع أن تثق بي وتخبرني لماذا حاولت الانتحار؟

أحسست بجفافٍ قاتلٍ في حلقي، وأنا أحرك لساني بصعوبة وأقول: الانتحار؟ عن ماذا تتكلم؟ لقد قتلني.. قتلني أمام كل الناس.. إنني ميت.

من الذي قتلك؟

قابيل.. لقد قتلني قابيل.. قتلني ثانية.. قتلني للمرة الألف، بعد أن كنت قد هربت منه عبر العصور وتخفيت منه في الحياة، كنت في كل مرة أعدو وأعدو في الحياة، أعيش وأتبسم وأتعلم، حتى يصلني نداءه، فأعلم أنه عثر عليّ، عبثًا عندها أواصل الهروب، كنت أقاوم، كنت أصارع الموت، لكن شيئًا كالسحر الأسود كان يشدني إليه، وأستلقي مستسلمًا ليديه وهما تنتزعان الحياة مني..

لماذا ذهبت إلى الميدان اليوم؟ عاريًا؟ من قابيل هذا؟ أهو أحد منافسيك فى العمل؟

صدقني لم أكن أريد الذهاب إليه، ولكنه هددني، إما حياتي أو حياة من أحب، كان دائمًا يقتلنى ببطء ويقف ليشاهد احتضاري أمام عينيه ثم يذهب، يذهب بعيدًا.. لمكان لم تستطع عيناي الكليلتان أبدًا

أن تعرفه، كثيرًا ما سألت نفسى: أأستطيع إن عرفت ذلك المكان أن أسرع إليه وأقتله قبل أن يقتلنى؟ لم أعرف أبدًا إجابة ذلك السؤال، دائمًا ما يغزوني ضعفٌ غريب يعطل حواسي ويمنعني من الإجابة.

أخبرنى ما هو عملك؟ هل أنت متزوج؟ أين أسرتك؟

ثم تأتي لحظة ميلادي.. وكما أغادر الحياة ضعيفًا، آتيها ضعيفًا، وحيدًا.. شعور قاسٍ.. خانق.. مؤلم، يشبه شعور تغيير الجلد، عندما تضيق الشرنقة حول الحشرة فيكون عليها أن تحرك جسدها بحركة مؤلمة خانقة حتى تستطيع أن تعيش قبل أن تخنقها الشرنقة، وتأتي لحظة الضوء.. تنكسر القيود.. وأطير كالفراشة حرًّا في أفق واسع أزرق وأبيض، أظل أخفق بجناحي وأخفق، ولا تسكن حركتي أبدًا، أجوب الدنيا صغيرًا أو كبيرًا.. طويلًا أو قصيرًا.. أحِب وأحَب.. أحزن وأعدو.. حتى يصلني النداء الملعون..

أعرف أنك متعب، لكنني أريدك أن تحاول التركيز قليلًا، أخبرني هل تواجه أيّة صعوبات مادية؟

كنت أعتقد في كل مرة أن ذلك النداء هو عقاب لي، لأنني ارتكبت خطأً ما، ربما لأنني آذيت أحدًا، فكنت أحاول أن أطهر نفسي في كل حياة جديدة، بالحب، بالأمل، بالعطاء.. كنت أعتقد أنه يكفي أن أكون طيّبًا فلا يلاحقنى ذلك المجرم الآثم، ولكن يا للعجب.. كلما شعرت بنفسي تصفو والنقاء يملأني يعاودني ذلك النداء بأسرع ما يكون..

هل تشاجرت مع أحد؟ هل هجرتك زوجتك؟ أو مات أحد أقاربك؟

وكان أصعب ما في الحياة كل مرة هو البداية.. كنت أنظر حولي فأرى وجوهًا غريبة لا أعرفها، فأسير وأسير وفي سيري أنزع الأقنعة واحدًا وراء الآخر، كنت كلما اكتشفت قناعًا أحاول أن أنزعه، و كان يؤلمني كالشوك، ولكن ما كان يؤلمني أكثر ما أراه تحت القناع، أحيانًا كنت أصل لإنسان بلا قناع، أو تغطيه فقط قشرة خارجية من واقعية وصلابة وإيمان، عندها فقط كنت أشعر أنني قد وصلت إلى مرادي من

الحياة، كنت أمد إليه يدي وفي عينيّ دعوة تغطيها دمعة تترقرق في سعادة وأمل، وأنا أشعر أنني اخيرًا قد وجدت وجهًا أعرفه.

لا فائدة منك، إنك تتعمد أن تدّعي الجنون.

لكن أتدري ما الذى يثير دهشتي؟ إنه في كل مرة بعد أن يقتلني، وبينما روحى تصعد ببطء لتودع حياتي، فإذا بي أراه ينحني عليّ، ويهز جسدي الميت ويسألني بهيستيريا ودموعه تتساقط: ماذا أفعل الآن؟ ماذا أفعل الآن؟

لا فائدة من الحديث معك حقًا، سأعود إليك لاحقًا.. بعد أن ترتاح.

سيعود إليّ، بعد أن أرتاح..

رأيته ينهض ويعطينى ظهره كي يعيد المقعد مكانه، اتسعت عيناي فى ذعر وقد أدركت من يكون، إنه هو.. عدوي الملعون، قابيل.. لقد تبعني إلى هنا، يريد أن يقضي عليّ وأنا في هذا الضعف، يريد أن ينتزع مني ثانية وجهي الذي أعرفه..

تلفّتُّ حولي بسرعة فى جنون يائس، فوجدت منضدة عليها أدوات جراحية وبكل ما يعطيه اليأس من قوة تناولت مقصًا حادًا وأغمدته في ظهره، وأخذت أضرب وأضرب، مع كل ضربة كنت أرى وجهًا حبيبًا أخذه مني.. يبتسم لي.. وعندما تناثرت الدماء على ملابسي وجدت فيها لأول مرة رسمًا لحياتي بدون النداء الملعون.. وفجأة! سمعت أصواتًا عديدة حولى، وصرخات: لقد قتل الطبيب..

وأحاط بي أناس كثيرون وشلوا حركتي، وكان لهم جميعًا وجوهًا لا أعرفها.. سقط السلاح من يدي، ورفعتها لا شعوريًا على وجهي أمسح جبيني وأنا اشعر بالتعب والخوف، نعم.. الخوف والغربة وقد فقدت الوجه الوحيد الذي أعرفه.. وجه عدوي اللدود.. وبينما هم يقتادونني بعيدًا مررنا على مرآة وحدقت فيها وجدته.. قابيل.. إنَّه فيها! إنَّه لم يمت، لقد أصبح يعيش بداخلي. غطيت أذنيّ بقوة حتى لا أسمع صوت الضحكة الشريرة الهازئة وهي تتصاعد مني..

قرية خبيثة

أمل العشماوي

لطالما كانت عودة خليل إلى قريته الصغيرة حدثًا يستقبله الأهالي بحفاوة بالغة؛ على أمل أن يحمل معه كلمةً تُحيي بداخل أبنائهم حلم السفر إلى الكويت، حيث كان يعمل هناك لسنوات، لكن.. في عصر يوم شديد الحر حيث لم يكن عند الأهالي أي شاغل يشغلهم عدا العمل والسعي وراء لقمة العيش، ظهر خليل على أعتاب القرية يحمل حقيبته السوداء ويسير بخطى مترددة، بدا متعبًا عابسًا مكللًا بعارٍ ليس له ذنب فيه، اجتذب دخوله المفاجئ كل العيون وتطلعوا نحوه واحدًا تلو الآخر برعبٍ صريح، حتى أن بعض النسوة حملن أولادهن وهرعن بعيدًا خوفًا من الاقتراب منه كحيوان أجرب خطر على الجميع.

طرق خليل باب بيته فخرجت له فيروز وعلى إثرها ظهر إسلام ابنهما، تعانق الثلاثة بعاطفة جياشة ثم تواروا خلف الجدران الصامتة، ومنذ تلك اللحظة لم تُفتح لهم نافذة أو باب، ولم يرهم أحدًا بالجوار

وكأن البيت ابتلعهم بداخله، الأهالي بدورهم لم يسألوا عنهم قط، وحرصوا على الابتعاد عن محيط البيت قدر المستطاع وتحذير الأولاد من قاطنيه. ومع الوقت خفت حدة التوتر، وانشغلوا بأحوالهم فكل واحد مهموم بما يكفي ولا يحتمل المزيد. وإذا بالخبر الأسود ينزل على رؤوسهم كالصاعقة، خبر سرق النوم وبدد الراحة والأمان؛ ففي إحدى القرى المجاورة قامت السلطات بفرض حظر التجوال ومنع الأهالي بالقوة من الخروج أو الدخول بعد اكتشاف حالة مصاب بالكورونا لشاب كان يعمل في محافظة شرم الشيخ مما تسبب في ركود حياتهم وزادهم فقرًا على فقر وجوعًا على جوع.

وبعد عشرة أيام جاء الخبر الأشد ظلامًا، وتلك المرة خرج من حنجرة الدكتور جلال طبيب الوحدة الصحية بعد أن قام بالكشف على خليل وتبين له أنه ربما يكون مصابًا بالكورونا، وأنه يعاني من كل أعراض هذا الفيروس اللعين من حمى وسعال وإرهاق شديد وضيق في التنفس.

انتشر الخبر فى القرية كالنيران الغاشمة، فتعالت الهمسات والشهقات ولطمت النساء على خدودهن واختبأ الرجال فى بيوتهم. في اليوم التالي بدت القرية مهجورة. وفي اليوم الثاني اجتمع الدكتور جلال والأسطى فؤاد وعم صالح شريكه وعم شافعي الجزار فى بيت العمدة الذى ركبه الخوف والقلق حتى قال لهم بنبرة آمرة: افعلوا شيئًا.. إن جاء أحدهم للتفتيش ستُفتح علينا أبواب جهنم، والدفاتر القديمة لن تعجبهم.

فتبادل الرجال النظرات فى حرج شديد فواصل العمدة حديثه قائلًا:

دكتور جلال أنت أكثر المتضررين بيننا؛ الأجهزة الطبية والتبرعات المنهوبة أنت المسئول عنها، قل شيئًا؟

فرفع جلال رأسه متوثبًا لكن عيناه التقت بعيون الأسطى فؤاد النارية، فلاذ بالصمت.

وبعدها قال عم صالح بتحريض: نعزله فى مكان بعيد عن القرية ونترك مصيره ومصير أسرته بين يد الله.

فصاح أسطى فؤاد: وأنا عندي بيت فى مزرعة المواشي الخاصة بي، هو المكان الأنسب لهم حاليًّا.

فقال العمدة موجهًا الحديث للدكتور جلال: وهل يمكننا فعل هذا؟

أعتقد ذلك؛ معظم الحالات تعافت بعد أسبوعين وعادت للحياة مرة أخرى دون الدخول إلى المستشفى، المصاب يحتاج فقط إلى الراحة والتغذية الجيدة.

فاشتد الحماس بالعمدة وأردف: جيد جيد، لنعزلهم إذًا.

قال عم شافعي: هذا الاقتراح جيد بالفعل، لكن يجب أن يوافق عليه كل أهالي القرية.

فقال الأسطى فؤاد بثقة: سأرتب هذا الأمر على طريقتي، حضرة العمدة لنتحدث من فضلك على انفراد.

وفى إحدى الغرف البعيدة قال الأسطى فؤاد بصوت خافت: لو مات خليل أو ساءت حالة إسلام الصغير لن تصمت فيروز وكذلك لن يصمت خليل إن أصابهم مكروه.

فكر العمدة وقطب حاجبيه: معك حق، ماذا سنفعل؟

أرى أن العزل فكرة جيدة، ولكن عزلهم والتخلص منهم فكرة أفضل.

أتعني؟!

نعم، إن رحمهم المرض سيدركهم الجوع، وطبعًا سيكون الأمر سرًّا بيننا وبين صالح، نحتاج فقط إلى موافقتك ونحن سنتدبر كل شيء.

فكر العمدة، وقال بخبث: لو انكشف الأمر ستكون أنت المسؤول وحدك أمام القانون.

هز الأسطى فؤاد رأسه موافقًا: وعد شرف مني يا حضرة العمدة.

وتبادل الاثنان نظرة تواطؤ، وافتر ثغراهما عن ابتسامة رضا وسرور. وخرج الأسطى فؤاد ليقوم بأولى زياراته الكثيرة التى ستستمر حتى مغيب الشمس، وفى أثناء ذلك حدثت همسات متواطئة تجوب القرية ومناقشات طويلة المدة، وفى الساعة العاشرة مساءًا، انطلق الأطفال فى الأزقة، وخرجت النساء أمام بيوتهن ومعهن كراسي

المطبخ، والشباب والرجال على القهوة، فى حين اجتمع أمام بيت خليل كلٌ من الأسطى فؤاد وصالح، والدكتور جلال وعم شافعي، نادى الأسطى فؤاد بصوته الجهوري: ياخليل.. يا أبو إسلام اخرج لنا لنتحدث.

خرج أبو إسلام وهو بالكاد يقوَ على السير، سعل وقال: خير يا أسطى فؤاد؟

خير إن شاء الله، أنا والرجال اجتمعنا اليوم للتشاور بأمر مرضك.

سأل خليل بحزن: مرضي؟

نعم مرضك، الدكتور جلال قال أنك بحاجة للعزل مع أسرتك لمدة أسبوعين على الأقل.

قال خليل: وأنا معزول معهم بالفعل، وأشعر بالتحسن.

قال الدكتور جلال: لا يجوز يا أبو إسلام، لو جاء أحدهم من الوزارة للتفتيش سينفضح الأمر ويعزلون القرية وقد يموت الأهالي من الجوع وأنت لا ترضى لهم بهذا.

قال خليل: إذًا سنرحل فى الصباح ولن نعود إلى القرية أو نذكر اسمها مهما حدث.

ارتفع صوت صالح قائلا بغلظة: لن نعرض حياتنا وحياة أطفالنا للخطر، عليكم أن تأتوا معنا.

قاطعه أسطى فؤاد: لا تقلق يا أبو إسلام جهزنا لكم بيتًا مناسبًا للعيش بعيدًا عن القرية، ستمكثون فيه تحت رعاية الدكتور جلال حتى تتعافون بإذن الله.

وماذا لو ساءت حالتي أو حالة أحد أهلي؟

سنأخذكم إلى المستشفى على الفور، فأنت أخ عزيز وأهل بيتك على رؤوسنا، الكل هنا خائف من وجودكم بيننا، ارحم ضعفهم وقلة حيلتهم وتعال معنا.

عندها فقط أرخى أبو إسلام عينيه، وقال لإسلام: قل لأمك أن تحضر بعض الثياب والمؤن سنرحل الآن.

صاح فؤاد: ثياب فقط يا إسلام سنحضر لكم الطعام والشراب كل يوم بإذن الله لا تحمل هم أبدًا.

سار خليل فى المقدمة يتكئ على فيروز وإسلام، وبعدهم بمترين تبعهم الأسطى فؤاد وباقي الرجال يخترقون أزقة القرية حتى وصلوا إلى خلاء واسع المدى، ورأوا تلك المزرعة الصغيرة البعيدة عن الحارة يحيط بها جدران شاهقة داكنة وينبعث منها ضوء خافت يثير الوحدة والقلق.

ولما بلغوا المزرعة قادهم الأسطى فؤاد نحو البيت الذى قال عنه مناسبًا للمعيشة، غرفة حقيرة لا تزيد مساحتها عن عشرة أمتار بلا محارة أو بلاط أو شبابيك ترد عنهم برد الليل أو حر الظهيرة، ثمه أريكة مهترئة بغطاء عفن ووسادة قذرة فى إحدى الزوايا، وستارة باهتة اللون تنزل من السقف إلى الأرض، لتحجب رؤية الحمام القذر.

سقط خليل على الأريكة مستسلمًا بعد أن أنهكه السير، بينما صاحت فيهم فيروز بغضب ممزوج بعتاب، وكبت إسلام فى نفسه نزوعًا نحو البكاء، قال لها الأسطى فؤاد بنبرة مسرحية: نشعر بالأسف تجاهكم ولكن هذا أفضل ما عندي، وأغلق عليهم الباب بإحكام

وكذلك فعل بباب المزرعة الفولاذي الكبير وقال لحارس عريض المنكبين غليظ الهيئة: لا أحد يدخل أو يخرج من المزرعة مهما حدث.

فهز الحارس رأسه وربت على بندقيته الحية.

رجع الرجال إلى القرية يركبهم الزهو بعد منتصف الليل، ورأوا أن لا أحد عاد إلى بيته، وأن الأنوار لا تزال مضاءة فى كل النوافذ، والأطفال والشباب يتجولون هنا وهناك وكأن الليلة ليلة عيد. شهدت الأيام التالية أقاويل كثيرة، فالبعض قال أن الأسطى فؤاد لم ينس أن فيروز رفضته وفضلت الزواج من خليل النجار وهو الآن يغتنم فرصة الانتقام منها، البعض قال أن العمدة يخشى على سمعة القرية أكثر من خوفه على نفسه وعلى الأهالي، والبعض قال أن خليل تهرب من مساعدة أبنائهم مرارًا، وأن زوجته استأثرت بخير الخليج لنفسها ولابنها وليس من العدل أن نشاركهم الآن فى الخراب. وفى يوم الإعلان عن وفاة أسرة خليل خيّم الحزن على الجميع وقد تعاهدوا على حفظ السر لسنوات طويلة، وقبل انقضاء أيام الحداد الثلاث كان

بالإمكان الاحساس في الجو بذلك الوفاق غير المعلن بين الأهالي على مبدأ واحد: "أغلق النافذة التي تؤذيك".

وسيتعاظم تواطؤهم أكثر عندما يأتي أحدهم للسؤال عن خليل وأسرته بعد أشهر قليلة، ويقولون بصوت رجل واحد: رحلوا عن القرية منذ زمن بعيد، ولا نعرف عنهم شيئًا.

بطاقة وملابس جديدة

د. جمال الجزيري

من الواضح أنني نزلتُ مصر في إجازة. لكن الوقت ليس صيفًا. نزلتُها في الشتاء على غير العادة، ولا أعرف لماذا أستبشر بالشتاء دون الصيف هنا! هل لأن الشتاء يليه الربيع، والصيف يليه الخريف؟ ربما كان فرحي لأن الخريف انقضى قبل الشتاء، وأن أوراقي الذابلة تساقطتْ بالفعل.

كأنني أخرج من محطة المترو في ميدان التحرير أو محطة جمال عبد الناصر. المخرَج في طرف ميدان فسيح. عند خروجي، يمتد البراح أمامي، وبمجرد أن أضع قدمي على الميدان الفسيح، أتحسس جيبي. أجد أنني نسيتُ هواتفي في الشقة. وتظهر في رأسي الشقة. ليستْ الشقة التي أسكن فيها الآن. ولكنها الشقة التي كنتُ أسكن فيها في بداية زواجي، كأن الزمن رجع للوراء، وكأنني أريد أن ألغي فترة من حياتي، كأن السفر للعمل لا يتمخَّض إلا عن عيون تترصّد كلَّ ما

يخصُّك. لا أتذكر أي رقم هاتف، لا رقمي ولا رقم زوجتي، ولا رقم أي أحد سوى رقم أخ من إخوتي يسكن في الصعيد.

أفكّر أن أشتري رقمَ هاتفٍ جديد، وأشتري هاتفًا لأستعمل فيه الرقم. أجدني أسير في وسط البلد، وأسأل بعض الباعة الذين يبيعون لعب أطفال، ومن بينها ألعاب في شكل هواتف، عن مكان شراء الهاتف وشريحة اتصاله. ومن الواضح أن هذا هو السبب الذي دفعني لأن أسألهم. يقولون لي أنه عليّ أن أسير للأمام قليلا. أحمد الله أن بطاقة الرقم القومي الخاصة بي ما زالت صالحةً، وأن شركة الاتصالات لن تمانع في أن أشتري خط هاتف جديد.

من الواضح أنني اشتريتُ الهاتف والشريحة. لكن فيمَ سأستعملها وأنا لا أتذكر رقم زوجتي، ولا حتى أي رقم من أرقامي أو أرقام أولادي. فربما إذا تذكرتُ رقمًا من أرقامي يمكنني أن أتصل عليه وستسمع زوجتي الرنين. قد لا ترد في البداية لأن الرقم غير مسجّل على هاتفي. ولكنها سترد في النهاية، على الأقل لتتخلَّصَ من

الرنين المزعج، خاصة وأنها ستدرك أنني خرجتُ دون هاتفي، وقد تفسّر المتَّصِل على أنه أنا وأحاول الاتصال بها عن طريق هاتفي.

أحاول أن أتذكّر رقمي، دون جدوى. أذكر بعض الأرقام فيه، لكنني لا أذكره كاملًا. وأحسُّ بأن عليّ أن أقوم بتجديد بطاقتي بالرغم من أنني متأكد بأن صلاحيتها ما زالت بها سنتان على الأقل. أتذكّر أنني عليّ أن أذهب لجامعتي الأصلية التي أعمل بها في تلك المدينة البعيدة حتى أحصل على توقيعها على استمارة استخراج البطاقة، تلك الجامعة التي تتعنت معي حتى في التوقيع على استمارة استخراج البطاقة، لا لشيء إلا لأنني تقدمت بشكوى للمحكمة ضدها لأنها تمانع في منحي إجازة وجوبية قانونًا. وأحس بأن المشوار ثقيل، وأنه لا يمكنني أن أذهب دون بطاقتي، فأكتشف أن أوراقي التي في محفظتي تخص البلد التي أعمل فيها حاليا، ولا توجد معي أوراقي الثبوتيّة المصرية. ولا تسلني كيف استطعتُ أن أشتري شريحة الهاتف مع أنني أذكر أنني اشتريتها ببطاقتي المصرية! فلقد كانت معي بطاقة هويتي

المصرية منذ قليل بالفعل. لكن من الواضح أن لغة الأحلام لها منطقها الخاص.

أتوجّه لمكان ما، من الواضح أننا نستخرج بطاقات الرقم القومي الجديدة منه. ولكنه مكان غير مجمع التحرير، ولا أعرف إن كان بإمكاني أن أستخرج البطاقة من مجمع التحرير أم لا. مكان أشبَهُ بباب اللوق، أو مكان قريب من العتبة. أسأل أحد الأشخاص عن حاجتي إلى استخراج البطاقة، وأؤكد له أنني لا أريد أن أحدّث بياناتها، فلا حاجة لي إلى إضافة بيانات جديدة، وفي رأسي أن عدم الحاجة إلى تحديث البيانات سيُعفيني من الحاجة إلى الذهاب لتلك المدينة البعيدة التي أعمل بها. وبالفعل يؤكد لي إنني لستُ في حاجة للذهاب إليها. فيمكنني أن أذهب، لتوقيع الاستمارة، إلى ذلك المبنى بعد شراء استمارة استخراج بطاقة رقم قومي، ويشير بيده إلى مبنى عالٍ يبعد عنّا قليلًا، نصف كيلومتر تقريبًا. أتحرّك نحو المكان ويتحرّك الرجل الذي سألتُه معي. وأفهم من السياق أنه يمكنه أن يساعدني في ذلك، وأن يساعدني في استخراج البطاقة ذاتها. أستبشر، وأنا أنوي أن أجازيه بمبلغ محترَم

من المال. فيتركني وهو ينادي على شخص، ومن الواضح أنه ذاهب إلى ذلك المبنى لاستكمال إجراءات استخراج بطاقتي.

أعود لأنتظره في المبنى الذي قابلتُه فيه في البداية، وهو المبنى الذي سيتم منه استخراج البطاقة في الغالب، كما أفهم من السياق. أجد أختي الصغرى الحاصلة على دكتوراة في الأدب مثلي جالسةً على أحد المقاعد في مدخل الدور الأرضي، على يسار الباب. أرحِّبُ بها وأسألها عن سبب وجودها. في الغالب تقول لي أنها لا تعرف إن كان عليها أن تَدْرس الرياضيات أو شيئًا آخر الآن أم تؤجل الدراسة لوقت لاحق. أو ربما كان سؤالها أنها من المفترض أن تدرس لاحقا، وتسألني:

هل من الأفضل أن أدرس الآن؟

أستغرب من حاجتها إلى دراسة مجال جديد، ومن حماسها للدراسة، مع أنها كانت تحدثني من قبل عن عدم قابليَّتها للقيام بأي شيء الآن، أو أنها تشبّعتْ وأصابها الإحباط من كل شيء. أستبشر وأشجّعها على التبكير بالدراسة؛ فخير البر عاجله.

أتذكّر الرجل الذي ذهب. وأحسُّ بأنني لا بد أن يكون معي مال كافٍ. أنظر في محفظتي، وأجد أن المال الذي معي قليل لا يتعدى بضعة مئات من الجنيهات. تطمئنني أختي وتقول إن معها مال يكفي. أتذكَّرُ أحلامًا قديمة بأنني في بلدتي الريفية في الأعياد، وعليّ أن تكون معي آلاف الجنيهات حتى أقضي إجازتي مع أهلي في الريف. وأبحث في حقيبتي، فأكتشف أنني نسيتُ الدولارات في شقتي في الجيزة. لكن هذا لا يقلقني الآن؛ فأنا في الجيزة بالفعل، أو على الأقل يمكنني بعد ساعة أو ساعتين أن أصل إليها.

أجد أختي تريني ملابس جديدة قد اشترتْها منذ قليل. ويزداد إحساسي بالشتاء وجوّه المنعش وحميميته، ونحن نسير في الشارع المجاور للمبنى الرسمي. أسأل أختي عن الملابس، فتقول لي إنها اشترتها لابنتها في الغالب. طاقم ملابس لونُه بيج عبارة عن قميص وبنطلون في الغالب. أسأل نفسي: لماذا لا تلبس أختي هذه الملابس الآن؟ لماذا تؤجل ارتداءها إلى وقت لاحق أحسُّ بأنه بعيد؟

لا يظهر الرجل الذي ذهب لاستكمال إجراءات استخراج بطاقة الرقم القومي. لا أعرف إن كان قد نسي الموضوع أم أن شيئًا ما أخّره. لكنني لا أقلق؛ فأحسُّ أنني بأمان، وكأنني استخرجتُ البطاقة بالفعل، أو لا يهم إن كنتُ استخرجتُها أم لا، فأنا متأكد من أنني عندما أعود إلى زوجتي وشقّتي القديمة، سأجد بطاقتي هناك، ولم أنسَها في بلد الغربة الذي أعمل به. أطلب من أختي رقم هاتفي ورقم هاتف زوجتي، وأتصل على زوجتي لأطمئِنَها وأطمئِنَّ عليها.

نسير أنا وأختي في الشارع الذي أحسُّ باتساعه، كما أحسُّ بأنه يعطينا الإحساس بالبراح، منطقة قديمة تُحسُّ فيها بالألفة، وبأنك تحب هذا المكان، وبأن المكان غير مزدحم، وبأن القليلين الذين يسيرون في المكان غير غرباء، بمعنى أنك تعرفهم بشكل أو بآخر. وحتى إن كنتَ لا تعرفهم معرفة شخصية، فهم من أهل المكان وتحسُّ بأن وجودهم طبيعي، بالرغم من وجود ذلك المبنى الرسمي الذي يأتيه الناس من كل مكان، وبالرغم من أن المكان ذاته ليس مكاني أنا

وأختي؛ فهذا المكان في القاهرة ونحن نسكن في الجيزة، ولكننا نحس بأنه مكاننا.

أجد أختي تُخرج القميص الجديد الذي تحوّل لونه إلى ما بين الأخضر والليموني، ويبدو لونه وأسلوبه رقيقًا وأنيقًا، وتبدأ في لبسه فوق ملابسها في الشارع، وكأنها تقول: لماذا لا ألبسه أنا الآن، وعندما يحين ذلك الموعد الآخر أشتري ملابس جديدة أخرى؟

أستبشر بالفكرة ونكمل سيرنا، كأننا لسنا في حاجة إلى شيء، دون أن نقلق أو نتوجّس من المستقبل.

نــزوة

هشام فنكاشي

جهزت له زوجته حقيبة سفره. تكوين طارئ لمدة ثلاثة أيام دعت له المصلحة. ترك هاتفه النقال في بيته حتى لا يزعجه أحد أثناء عمله، وهو بذلك ترك صوت الضمير وراءه. فضّل السفر على متن القطار. ركب قطار النزوة وتوجه إلى مدينة المتعة. سيطرت نزوة المغامرة الجنسية على كل كيانه، والتي طالما شغلت باله وكانت تراوده على نفسه. تلك النزوة المحمومة المجنونة التي تشوش بالك وتعطل تفكيرك، التي تنسيك من تكون، وماذا سيأتي به الغد من تبعات. النزوة التي من طينتها خرجت قصص الفضائح الكبرى، فالنزوة عربة تجرها أحصنة المجهول.

تتصارع الأفكار في مخيلته وهو على متن القطار ويخاطب نفسه قائلا: عشرون سنة هجرية من الالتزام الزوجي، نفس الحوار نفس التعليقات نفس الضحكات، الملل يسكن كل جوانب حياتي، الملل من شيء لا تستطيع الاستغناء عنه حتى أصبحت أملّ ذاتي. مغامرة؟

ولم لا، كل الرجال يغامرون. لماذا لا أصنع الدهشة؟ المهم ألَّا ينكشف الأمر. خيانة؟ ليست خيانة، ممكن كسر ملل زوجي، أو احترام طبيعة الرجل التي خلقت للتعدد. آه لو كانت زوجتي تغضبني تجرحني، حتى أجد مبررًا لخيانتي، ما أفظع ذلك الاحتكاك الأليف الدائم! حين تصبح المرأة فاكهة حاضرة في المتناول كل ليلة ولحظة، فتتحول الرغبة من رغبة متأججة إلى واجب زوجي. ما أبشع هذا الاحتكاك الدائم! فيعدي الرجل زوجته برجولته، فتصبح أكثر رجولة ومع مرور الوقت وخاصة إذا كانت تحبه، تصبح تتكلم وتتصرف بطريقته وتتبنى أفكاره وفلسفته في الحياة. ما أروع لوعة الأنثى المشتهاة المطلوبة التي لا تظفر بها إلا بمطاردة وميعاد واستعداد! عشرون سنة وأنا أطعم أبنائي وزوجتي من عواطفي. أطالب بحقي في الخطيئة والعبث. أطالب بشوق الرجل نحو المجهول المثير. أشتهي لوعة المغامرة، متعة المطاردة الأزلية بين الذكر والأنثى. أنا سأخون بجسدي لا بقلبي وأحاسيسي، وهذا تكويني كرجل.

يتكلم ويتكلم كثيرًا، لإسكات صوت ضميره، فالضمير يتكلم حين نصمت..

رفض حجز غرفة في أي فندق، حتى يقتل أي احتمال أن يلتقي بشخصٍ ولو صدفةً من معارفه أو من طبقته الإجتماعية والعلمية. اشترى شقة مفروشة، وتوجه مباشرة إلى مقهى قبالة البحر، لا يرغب في تأمل البحر، لكن يريد أن يهديه البحر حورية من حورياته.

مرت بجانب البحر، أسرته بجسدها الأنثوي المثير، ولفت انتباهها بغموضه الرجولي. مسح جسدها بنظارت الإعجاب. امرأة في عقدها الرابع، المهمة ستكون أيسر. فالإنسان عندما يبلغ الأربعين أو يقترب منها أو يتجاوزها، تصبح أهدافه أكثر وضوحًا ويختار أيسر الطرق وأقربها لتحقيقها. يصبح أكثر نضجًا حتى إذا تعلق الأمر بالخطيئة والعبث والتمرد. يدرك أن العمر يمر أسرع مما نتصور، لذا يصبح في تعامله مع الآخرين أكثر إيجازًا وخدمة لنفسه. الرجل في هذا العمر يكون ماكرًا، له خبرة في فن إغواء المرأة والإيقاع بها بأيسر الطرق. المرأة في هذا العمر تصبح أقل عاطفة، فتختار العابرين الذين

لا يرغبون في المكوث، لا تصبح طعمًا بل هي الشباك، فلا أعصاب باردة لديها لطعم الصنارة، والشباك أسرع وأفور في صيده، فتوقع بالفريسة في شباكها، قبل أن تتذوق الطعم.

نظر إليها وابتسمت، دعاها لطاولته واستجابت، تكلما بكل حرية وعفوية، فمع الغرباء نكون أكثر صدقا وعفوية. فالغريب لن يفشي سرنا، ولن يهددنا بنزواتنا، نثق في الغريب أكثر، لأنه لم يسبق له أن خدعنا من قبل، لذلك نحاول بوعي منا أو بدونه أن نلبسه كل الصفات التي كنا نتمنى أن نجدها في الآخرين، فنتعامل معه على هذا الأساس. ذلك الآخر الذي رسمناه في مخيلتنا فاكتشفنا مع الزمن أنه وهم وسراب، لن نلتقي مع الغريب ثانية، وبالتالي لن نخجل أمامه عندما نلبس ثوب الفضيلة في ضوء النهار.

النزوة عجلى لا وقت لديها، تريد القطف السريع والجاهز، فتوجها سويًا إلى الشقة المفروشة. دخلا الغرفة.. الارتباك يسيطر عليه، ليس لأنه غشيم في عالم النساء، ولكنه ارتباك التجربة الأولى للخطيئة، ذلك الارتباك الذي يهاجمنا في تجربة البداية، وكأنه ناقوس خطر يدق

بقوة، ليذكرنا أننا سنقوم بالسباحة الأولى في بحر الخطيئة، البحر الذي كلما شربت منه ازددت ظمأً، بحر لا قاع له ولا شطآن نجاة تلوح بين جنباته، هذا الناقوس الذي يختفي صوته ويصمت للأبد، كلما تمادينا في خطيئتنا واعتدنا عليها، حتى تصبح جزءًا ومكونًا من طبعنا ومصيرنا، ما أصعب أن تصبح الخطيئة رفيقة دائمة لك، فلا يزورك النوم إلا إذا احتضنتها!

كل شيء أصيب بالخرس فوق سرير الشهوة إلا الجسدين، السرير يهتز بقوة، تكلم الجسدان فأطفأ عطش الشهوة المحمومة.

ما إن خرج الماء من بين الصلب والترائب، حتى ضحك في قرارة نفسه ضحكًا بطعم البكاء، من وهم النزوة البائس، اكتشف أن النزوة عارية حافية لا طعم لها، نحن من نلبسها تلك الملابس المثيرة في مخيلتنا، ونزينها بالأساور والحلي، ونمدها بذلك الجبروت علينا. النزوة امرأة يتيمة بائسة وحيدة، نحن الذين نضعها على عرش مهيب بخيالاتنا ورغباتنا المتأججة، ما إن تتذوقها حتى تسخر من نفسك، ومن كل الخيالات التي ألصقتها بها.

عاد إلى بيته دون إكمال الثلاثة أيام، اشترى الكثير من الهدايا لزوجته وأبنائه، كنوع من الاعتذار غير المباشر، وحتى يشعر ببعض من راحة الضمير.

وهو عائد على متن القطار، يضحك ساخرًا من نفسه، على سنوات الخداع التي اقتاتت من تفكيره، وغذت خيالاته وحماسه ورغبته في أن تطأ أقدامه جزيرة النزوة، وها هو يعود منها بعد أن وجدها صحراء قاحلة لا زرع ولا ماء ولا واحة فيها.

أصفاد

بسمة ناجي

غضبٌ يستعر داخل روحي وأنا أتأمل تلك الأصفاد المغلغلة ليديّ بأنفاسٍ مشتعلة كـكل عام في هذا التوقيت دون مفر منها، أو مغفرة تشفع لنا، بعد خطيئة أبينا الأعظم، التي نتحمل تبعاتها إلى هذا اليوم.

رفعت ناظري أتأمل عشيرتي التي تقف نفس موقفي هذا، يتسامرون كأن الأمر لا يعنيهم، أو كأنهم في نزهةٍ ما، يخططون لما سوف يفعلون يوم غد، فيومٌ واحد يفصلنا عن فك هذا الأسر، لا.. بل فقط بضع ساعات وأعود لعملي وسط الأسواق.

عُدت للشرود بأصفادي، مفكرًا في إنجازاتي قبل رمضان، كل النفوس صارت محملة بالأحقاد، التناحر والتنافر يكفي لسنوات، وبمجرد عودتي سوف تتأجج النيران داخلهم من جديد.

مرت الساعات تباعًا، وأنا أفكر في حال منطقتي التي أعمل على إشعال الفتن فيها، إلى أن تم فك الأسر، عقب أذان مغرب آخر أيام هذا الشهر الكريه.

كدت أتنفس الصعداء بتحرير وثاقي، لكن هذا الصوت البغيض الذي استقبلني به إمام هذه المنطقه بعد شهر كامل من التصفيد، جعلني أصُم آذاني، أكره العوده إلى هنا، بسبب نداءه اليومي في الخمس صلوات.

عاد عقلي للعمل بقوته القصوى، بعد هذه الإجازة الإجبارية، لترتسم على وجهي بعدها ابتسامةٌ جَزلة تَليق بأفكاري، فقد اكتملت الخطة، وسوف يتوقف الإمام عن الأذان والصلاة بطريقتي، بعد أن فشل (حنزب) و(الولهان) في إثناءهِ عنها.

عُدت ألتفت حولي أطمئن على أحوال العباد، ابتسمت عندما وجدت في استقبالي المشاحنات، والأحقاد بين الجميع، تُطرب أذني بسماع السباب من مختلف الألوان، ما أروعك أيها القصَّاب! لازلتَ على عهدي بك، لا تكتال بالقسط.

وها هي تلك الشمطاء، تعود مرة أخرى لتحتك بالبائعين، يا لكِ من ماكرة أيتها السيدة، لقد واريتِ إحدى القطع الذهبية في حقيبتك كالبرق، كدتُ ألّا ألحظها، لولا معرفتي بكِ، وهذا التاجر المتغضن يعبثُ بأجساد النساء، مدعيًا البلاهة وعدم القصد، قهقهت ضاحكًا عليه، مُلتفتًا إلى دكان الحج طه (شيخ الجامع).

يا لها من رائحة مقززة، تلك التي تُطلقها عيدان البخور التي لا ينفك يشعلها عقِب كل صلاة، صوت آيات القرآن تشعل أوصالي، لن أستطيع أن أعمل في هذه الأجواء المقبضة، أسرعت التفكير في هذه المعضلة، ليستنير عقلي بفكرة، تعجلتُ لتنفيذها.

هرعتُ إلى عامل شركة الكهرباء، فوجدته يدخن أحد سجائره المخدِرة، فابتسمت لصغيري الباقي على العهد، وأنا أنظر حولي أبحث عن طريقةٍ ما لقطع الكهرباء، ما هي إلا لحظات، حتى أقبل أحد دائنيه لينهض الآخر مترنحًا إثر المخدر، وقد أوشك المعركة على البدء.

نفَثتُ في عُقدهم حتى اشتعل الصِّراع ووصل إلى أوجهِ، مع دفع العاملِ للدائن نحو لوحةِ الكهرباء المركزية، لينطلق الشرر في كل مكان.

ما هي إلا لحظات، حتى انقطعت الأضواء، حسنًا فعلت، الآن أمامي نصف ساعة حتى أذان العشاء، فتره جيدة لأجد ما يلهيه عن الصلاة.

تلفتُ حولي لأجد مبتغاي، إحدى الفاتنات التي تخلُب لب أعتى الرجال، تبحثُ عن مبتغاها رغم الظلام الدامس.

اقتربت منها، موسوسًا لها نحو دُكان الشيخ طه، فرفعت عينيها بفضول، لذلك الشيخ الجالس أمام دكانه، يراقب الجميع ممسكًا بمسبحته.

أقبَلت نحوه بخطواتٍ متغنجة، تتشدق بعِلكة مطاطية، مُصدرة صوتًا مميزًا، مع حركة شفاهِها الممتلئة الخاطفة للألباب، ومع حرارة الأجواء، بدا ثوبها مناسبًا لسلب جميع الأنظار نحوها.

توقَفت أمامه تتحسس إحدى ذراعيها بدلال وهي تسأله عن شيء ما، فنظر نحوها وكاد يخفض بصره، فـلفتُّ نظرَه لقدِّها المياس، وملامحها الأُنثوية الطاغية، ثم داعبْت أنفه بأثر عِطرها الأخاذ، فتمعن بها وهو يومئ بالإيجاب، على توفّر حاجتها لديه.

نهض فسارت خلفه ببطء، وهي تهتدي على الضوء الخافت الصادر من هاتفه، فتلفت نحوها يرنوها بنظرة خاطفة، ضحكت على إثرها ضحكة صاخبة جعلت قلبه الكهل ينبض بقوة، ثم أطلق تنهيدة حسرة على حاله مع زوجته، وأنا أرسُم بخاطرهُ صورة إهمالها لذاتها وله.

ظللتُ أُراقب حركاتها الأُنثوية مع الشيخ، وهي تُشير إلى إحدى المعروضات، فناولها إياها مشدوهًا بجمالها، بينما هي اقتربت من المرآة بجوارهِ، تتأمل الثوب على جسدها بافتتان جعل ابتسامتي تتسع مع اقتراب تحقيق هدفي، وأذان العشاء يصدح في الأجواء من المساجد البعيده، ولازال الشيخ طه في موضعه، وقد نسي نِداء الصلاة وهو يراقب تلك الحورية التي أرسلتها له لتُسقطه من الفِردَوس.

انتفضت مصدومًا مع عودة الإضاءة قبل إتمام نجاح خطتي، وأنا أنظر بفزع نحو الشيخ طه الذي أجفل مع عودة صوت المذياع بآيات القرآن، مُحدقًا فِي مَن أمامهُ بذهول، لترتسم على قسمات وجهه أمارات الغضب، وتنقش الحسرة مرة أُخرى خطوطها على وجهي، وهو يطرد تلك السيدة بعنف، يغُلق بعدها الدكان على عجل مستغفرًا ربه، راحلًا قاصدًا المسجد تاركًا إياي خلفه أتلوى من الغيظ، حسنًا، لقد خسرت تلك الجولة، لكن أيها الدميم ذو الصوت الأجش إنها ليست نهاية المطاف، فسوف يكون لي معك مآرب أخرى.

قد تراودك نفسك على المعصية، تغزو نحوها بروحِك، وتُقبل عليها بصدرٍ رحب، تدعَمُك وساوس الشيطان، منيرًا طريقكَ نحو جهنم بحممٍ من سِجّيِل، لكن إن كان في قلبك مثقال ذرةٍ من إيمان، فسيردك الله إلى صراطه المستقيم.

لا تشعل الأضواء

تسنيم محمد

دائمًا ما أتذكر كلمات جدي: "لا تخشَ الأضواء يا صغيري".

كانت الأضواء بالنسبة لطفل مثلي الأمان ولكنه كان يصر على إخباري بأن الشيطان لا يرى في الظلام، يرى فقط في الأضواء، كان يتعجب من خشيتي الظلام لتلك الدرجة وأنا أعلم عن ظهر قلب أن هناك بعض الكلمات مترابطة، مثل: نور.. ملاك، رحمة.. جنة، وظلام.. شيطان، قسوة.. نار.

لذا كان حديثه دائمًا حديث خرف بالنسبة لي، كان ينتابه الجنون إذا أشعل أحدهم الضوء، ورغم ذلك غرفته كانت دائمًا مرتبة، لم يسكب الماء أو الطعام يومًا على ملابسه، حتى أنني كنت أظنه كفيفًا أو عميل مخابرات. الحكايات والفضول في مخيلتي كانا لا حد لهما.

سألته ذات مرة وأنا طفل: لماذا يا جدي تخشى الأضواء لتلك الدرجة؟

حينها أخبرني بسر خطير على حد قوله، أخبرني بأن بعض البشر حينما يولد ينزل على الأرض ملاك ويأتي من عالم الشياطين شيطان، وظيفتهما مختلفة عن وظيفة غيرهم من بنيهم، يتحاربان ويتصارعان، كلٌ منهما يراهن على أن المولود سيتخذ جانبه دون تدخل أو تأثر من جانب أيٍ منهما حتى يوم مماته.

أخبرته أن الأمر محير مادام الاثنان لن يتدخلا في قدر المولود بأي شكل، إذا لماذا نزلت الملائكة وجاءت الشياطين؟ ولماذا يحدث هذا مع البعض فقط دون الآخر؟

أخبرني بأن هناك البعض يولد نتيجة لأعمال سحر أسود، ولدوا ليتحملوا خطايا آبائهم أو أمهاتهم نتيجة لصفقات مع الشياطين، ولا تتم الصفقة دائمًا ببنودها المتفق عليها.. فيأمل الشيطان أن يتخذ ذلك المولود درب والده أو والدته ويحاول أن يتمم الصفقة أو يأتي بصفقة جديدة يضمن بها أن المولود لن يمس الجنة أبدًا، فجميع الصفقات التي تعقد مع الشياطين يكون هدفها هو أبدية الطرف الآخر في النار وإرضاء غرور وطمع الطرف البشري في الدنيا. قد يكون العيش

لآلاف السنوات مع الجاه والأموال أو قدرات خارقة أو غيرها.. صدق أو لا تصدق الأطماع كثيرة، والثغرة الوحيدة بتلك الصفقات والتي تجعل البشر يتهربون من الثمن الذي وعدوا إبليس به هو تسليم مولود من صلبهم ليتحمل تلك الخطايا بدلًا منهم، وبما أن الأطفال يولدون على الفطرة السليمة الخيرة ذلك يجعل وظيفة الشيطان صعبة ولن يتقبل مجرد فكرة احتمالية أن ينجو الطفل الناتج عن صفقة بذل بها جهده لكي ينتهي مصيره بالجنة بدلًا من النار بالنهاية. ورغم وعد الشياطين بأنهم لن يتدخلوا في مصير المولود، إلا إنهم لا عهد لهم.

حتى وظيفتهم المعهودة وهي الوسوسة ليملؤوا جهنم من بني آدم لا يمارسها هذا النوع من الشياطين، فمع أول مولود وُلد لأول صفقة بالتاريخ قام الشيطان بخطفه وحتى الآن يظل مصير ذلك المولود مجهولًا. البعض قال بأن إبليس اتخذه ولدًا وحوله إلى شيطان والبعض قال أنه جعله يحتفظ بهيئته البشرية وأنه حيٌ حتى الآن لمهمة لا يعرفها أحد من البشر قط، ربما إبليس فقط من يعرفها، وأنه منذ خطف ذلك المولود وأصبحت الملائكة تنزل على الأرض لتأخذ

حيطتها وتتأكد أن المواليد لن يؤخذوا بذنب ذويهم وحتى لا يتكرر ما حدث مع المولود الأول لأول صفقة بين شيطان وبشر.

أتذكر ردة فعلي على كلماته، خفت كثيرًا. كان أبي دائمًا يخبرني بأن جدي عقله ليس معه، أصابه الخرف، كل تلك الأشياء كنت أعلمها ولكن حتى مع تصرفاته الغريبة لم أره مجنونًا قط، خاصة وأن كل ما ذكره موجود، نعم توجد الشياطين وتوجد الملائكة ويوجد سحرة وسحرٌ أسود ولكن تفاصيل كتلك لم أعرفها يومًا. حينما أخبرت أبي ضحك كثيرًا رغم مظهري الخائف والحزين، ثم احتضنني وأخبرني أن تلك مجرد قصة كان يرويها جدي له وهو صغير، ثم تنهد أبي وأخبرني بأن أترفق بجدي فهو لم يكن هكذا بالماضي. أنا أيضًا أعلم بأنه لم يكن هكذا بالماضي، لم يبدأ هذا الأمر معه سوى وهو بالثمانينيات، هذا ما أخبرني به جدي.

بعد عدة ليالٍ كان لا زال كلام جدي يتردد في مسامعي، وخاصة ذلك السر الأهم الذي أخبرني به ولم أخبر به أحدًا حتى أبي. كيف يكون جدي مولودًا لأب عقد مثل هذه الصفقة؟ ولماذا رغم أنه أصبح

بالتسعينات من عمره ما زال يلاحقه ذلك الشيطان؟ ما الذي حدث ليتركه ملاكه دون حماية؟ ولماذا شيطانه يراه فقط في الأضواء؟ ولماذا عاد شيطانه بالثمانينات على وجه التحديد بعد أن تركه؟ ربما لأن صفقة والده كانت تحتوي على الرؤية فكان يستطيع رؤية ما يدور بخلد الفرد فور أن يرى عينيه، ويستطيع أن يرى في الظلام، بل عينيه كانت درع حمايته طالما كان بالظلام ولم تبدأ تلك القدرة بالظهور عنده سوى وهو بالثمانينات.

لا شيء بدا منطقيًا من حديثه لصبي بمثل عمري. المشكلة هي أنني كنت أخشى الظلام وأصبحت أخشى الأضواء كذلك. لا شيء أراحني في تلك الفترة فقررت أن أعرف إن كان جدي صادقًا أم لا، فتسللت إلى غرفته وأشعلت الأضواء وهو نائم، لم يحدث شيء على الإطلاق، تنهدت براحة ثم عدت إلى غرفتي لأفيق بالصباح على أخبار فقدان جدي لبصره، على ما يبدو قد فقأ عينيه بسكين.. وقتها فقط فهمت. كان الشيطان لا يسعى خلفه وإنما خلف عينيه، كان يستطيع جدي حماية نفسه وهو بالظلام، ربما استخسر إبليس تلك الهبة بإنسان

لم يعقد معه صفقة وقد ينتهي أمره بالجنة، ما أعرفه هو أن الأيام التالية لذلك اليوم كان جدي مشغولًا بالتأقلم مع وضعه الجديد، وأنا مشغول بتأنيب نفسي، فلم أجرؤ أن أذهب لأراه ولو لمرة.

أتمنى لو أن جدي لم يخبرني بتلك القصة، وقتها كانت الطاعة العمياء هي مذهبي، بالنقطة التي أثار بها فضولي وخوفي تسببت أنا بكارثة كبيرة.

بعد مرور أسبوع جاء إلى غرفتي.. اعتقدت أنه كان سيوبخني ولكنه احتضنني عوضًا عن ذلك، أخبرني بأنه لم يشعر بالحرية والراحة أكثر من شعوره بها تلك الأيام، أخبرني أن كل شخص وُجِد على هذه الأرض هو معجزة بحد ذاته وبأن الأطفال يستطيعون فعل أشياء لا يستطيع غيرهم فعلها.

لم يقضِ جدي الكثير من الوقت معنا فقد توفي بهذا العام، ولكنه عاش بهذا العام ما لم يعشه منذ أن ظهر ذلك الشيطان بحياته؛ ابتسم أكثر وضحك أكثر وروى لنا قصصًا أخرى لم تبث الرعب بقلوبنا على الإطلاق، أصبح لا يخشى شيئًا، لم يحبس نفسه بغرفته، رحل راضيًا

بشوشًا، رحل وتركني بأسئلة كثيرة لم أجد لها جوابًا، ولم أحاول أن أجد لها جوابًا.. حين أتذكره اليوم أمرر لأبنائي قصصًا أخرى رواها لي، أروي لهم قصصًا عن كيف أن الشيطان كان ولا زال عدوًا لنا، أروي لهم عن الخير والشر، عن ألاعيب الشياطين وكيف أنهم وسوسوا لي ولجدي مئات المرات ولم نستجب لوسوستهم بعض الأوقات وكنا نستجيب أوقاتًا أخرى ولكن نعود لنستغفر ونتوب، أخبرهم بأن استحقاق النار والجنة بالفضل قبل العدل وأن الله رحيم وغفور.

آسفين يا صلاح

إسماعيل صالح محمود

ماذا تقول؟! أنت حتمًا أصابك الجنون.

هتفت زوجتي بهذه العبارة وقد استشاطت غضبًا واحتقن وجهها بشدة، ثمّ أردفت: تقضي على مستقبل الولد وتنهي مشواره الدراسي في هذا السن! الولد حصل على الشهادة الإعدادية وحسب.

هتفتُ بإصرارٍ واضحٍ: هذا من أجل مستقبل أفضل له.

ارتفع صوتها حتى بات أشبه بالصراخ: مستقبل أفضل! أي مستقبل هذا؟! أي مستقبل ينتظرُ شخصًا كل محصلته في الدنيا أنه بالكاد يجيد القراءة والكتابة؟

وجدتُ نفسي أصرخ بدوري: وماذا فعل الآخرون؟ ها! ماذا فعل الذين أجادوا ما هو أكثر من القراءة والكتابة؟ ماذا فعل حتى من حصلوا على الماجستير أو الدكتوراة؟! أجيبينى.

اتسعتْ عيناها قائلة: أي منطق هذا الذي تتحدث به؟ دعنا نفترض صحة ادعاءك هذا، هل هذا سبب كافٍ لتدمير مستقبل الولد!

إذا كان أولئك الذين ذكرتهم تتضاءل فرصهم في الحياة رغم درجتهم العلمية فما بالك بمن هو أدنى؟ أنت تنزع منه الحياة نفسها.

انخفض صوتي قليلًا: هذا ما تعتقدينه أنتِ أما أنا في المقابل أُعِدّ له مستقبلًا أفضل وأفضل بكثير.

تساءلتْ: وما هو؟

ملأتُ صدري بالهواء ونفثته كله دفعة واحدة قبل أن أقول: ابنك منذ أيام قليلة تم قبوله في اختبارات ناشئي النادي الأهلي هل تعرفين ماذا يعنى هذا؟

هتفت: وماذا يعني؟

يعني أن ابنك موهوب في كرة القدم وهذا هو المستقبل بعينه، إنهم يلعبون الكرة ويحترفون ويحصدون الملايين لسنوات ثم يعتزلون ويعملون بالتدريب أو الإعلام الرياضي ويستمرون أيضًا في حصد الملايين.

فاضت السخرية من كلماتها وهي تقول بتهكمٍ واضح: ملايين!

قل هذا، أنت تحققُ أطماعك الشخصية في ابنك، أنت لا تكترث

لشيءٍ إلا لما سوف تجنيه من وراء ذلك.

صرختُ: ماذا تقولين! أحذرك من التحدث معي بهذا الأسلوب!

ولماذا أحذرك من الأساس؟ أنا لن أتحدثَ معكِ وما أبلغك به هو قرار وليس نقاش.

أجهشتْ هي بالبكاء وغادرت أنا مصطحبًا الولد إلى التمرين الأول بعد انضمامه إلى فرق الناشئين، في الطريق كنت أحتاج بشدة لأن أغمض عينيّ وأغوص في أحلام اليقظة، والتي باتت على بعد خطوات قليلة من التحول إلى واقع ملموس، تتابعت الصور في ذهني الواحدة تلو الأخرى.

ليونيل ميسي.. كريستيانو رونالدو.. كيليان إمبابي..محمد صلاح.. آه هذا الأخير هو النموذج الأمثل الذي يسيطر على كل تفكيري، هو الأمل الحقيقي الذى يصنعُ من أحلامنا هدفًا ويجعل لسعينا حافزًا وقوةً دفع هائلة وأيضًا يجعل لتضحياتنا قيمة، هذا الفلاح البسيط الذي افتقد لأبسط الإمكانيات، وصارع كل المعوقات وصعد إلى الأعلى دون دعم، هو الحلم المشترك لملايين البشر، هو تميمة

الحظ لكل المنحوسين، "حدوتة" قبل النوم التي ترخي بها الأمهات جفون صغارهن وتتركهم يسبحون في فضاء متلألئ يلهون بالنجوم، هو تلك الكلمات السحرية التي تعيد الموتى الأحياء إلى قمة الحياة، هو نبوءة الفقراء والمساكين، هو الغيث في أيام الجدب والجفاف، هو الوحي الذي يعيدُ للناس إيمانهم بأنفسهم، هو أمل المتعثرين على الثبات والقدرة.

المعادلة بسيطة؛ ارتقى هذا الشخص البسيط بسبب موهبته، واعتلى بها القمة دون دعم فما بالنا لو وجد موهوبًا دعمًا ومساندةً وتضحيات وكلّ شيءٍ حتى يصعد؟

كلّ المطلوبِ من الولد فقط أن يرفعَ قدمه ويصعدَ إلى أعلى وأنا سأتكفل بالباقي، هذا ما لا تدركه هذه الزوجة المأفونة التي أرهقتني بحديثٍ مجدب وجدال عقيم، ولكن حديثها حمل شيئًا من الصحة في جانب ما، وهو ما جعلني أُنهي الحوار، هكذا تسيرُ الأمور، مهما ادعيتَ تقفُ أمام الحقائق عاجزًا، تلك التي تلمس بداخلك كبد الحقيقة وصميم الأمر.

كشفتْ عما بداخلي من أحلامٍ بالمال والثراء، لكن بصيرتها لم تنفذ لما وراء ذلك، لا تملك من رهف الحس ما يُمَكنها من لمس انكسارات فقر وعوز أحدثت شروخًا بداخلي، لا تدري شيئًا عن شعور رجل فقد ثلاثة أرباع عمره وهو يلهث خلف بضعة جنيهات تكفي بالكاد لملء جوف زوجته وابنه، لا تعلم أن هذا الرجل الواقف على قدميه يصرخ بها يقبعُ آخر بداخله مهزومًا منزوٍ في ركن مظلم تكبله كل معانى العجز والضعف، لن تشعر بتلك الخطوط البيضاء التي تسطر في شعري كلمات الختام وأنا لم أبدأ بعد.

أليس لهذا خلق الأبناء؟ أليس لذلك نرعاهم ونتفانى من أجلهم؟ ألم يكن هذا هو دعاء الأنبياء؟ ألم نحمِهم من كل داء حتى يصيروا لنا دواء؟ ألم نكن لهم شمسًا في النهار حتى يضيئوا لنا قمرًا في المساء؟ ألم نشقَ حتى يكونوا هم أنفسهم نهاية الشقاء؟

هذه الأحلام التي سُلِبَت مني تباعًا حتى لم يبق منها إلَّا واحدٌ، فاتركوه واتركوني، فلن تجدوا مني إلا هو، ولن تجدوه بدوني.

مشينا سويًا جنبًا إلى جنب، خطواتنا إيقاعها واحد، ابتسامتنا واحدة، تفاؤلنا واحد، امتد أمامنا البساط الأخضر إلى ما لا نهاية وعلى مرمى أبصارنا لم يلتق الأخضر إلا بالسماء، تلك الخطوط البيضاء هي حدود مؤقتة سيتجاوزها قريبًا وأنا معه بالطبع، سنذهب إلى أبعد نقطة، إلى هناك.. وهناك.. إلى أن نلتقي بالسماء..

الاستقبال الحار أثلج صدري وقلبه تقافز مع كلّ لمسة للكرة، كلّ هجمة ووثبة منه.. ولكنه انخلع فجأة؛ كان الارتطام قويًّا للغاية، وأكاد أجزم بأنني سمعتُ صوت كسر قدمه من مكاني في المدرجات، وقفتُ مذهولًا وفقدتُ قدرتي على الحركة أو النطق.

في المستشفى لم يطرأ عليّ أيّ تغيير إلا من دموع متحجرة توخز عينيّ المفتوحتين عن آخرهما بشدة، خرج الطبيب منكسًا رأسه وأطال النظر إلى وجهي وكأنه يحاول أن ينفذ إلى داخلي يستشف شعوري في تلك اللحظة، لن يدرك بشر على وجه الأرض ما بداخلي الآن، حتى أنا؛ أشعر أنني أحوي بين جنبيّ شعورًا أعجز عن إدراكه أو تفسيره، كلمات الطبيب القادمة هي فقط ما أشعر به و أدركه تمامًا، وكأنني

سمعتها من قبل، كلمات تبعثُ بداخلي ارتجافة قوية وتمتد بقبضة باردة لتعتصرَ قلبي، نفد وقت الصمت والتردد وخرجت كلمات الطبيب أشبه بحراب سامة أصابت كلّ جزءٍ في بدني: الإصابة قوية للغاية وقد..

ابتلع لعابه وخرجت الكلمات المتبقية بصعوبةٍ بالغة: وقد لا تعود قدمه إلى طبيعتها مرة أخرى.

آخر حرف نطق به فجَّر الدموع المتحجرة في عينيه، والتي انهمرت كالسيل، فغامت أمامي الرؤية ثم.. أظلمت.

الدّرامز والدّريمز

رضا يونس

"الدّرامز" "والدّريمز".. حسنًا بدأ العرض.

مشهد داخليٌّ.

مسرح يخطف الأبصار، على ستار الحائط صور لراقصة مشهورةٍ، فوق خشبة المسرح مجموعة كراسٍ تنتظر مرتاديها، أمام كلّ كرسيٍّ طبلة من الحجم المتوسّط مشدودة بشكل محكم، مكتوب على جانبها: "الطّبلة طريقك للشهرة"

الجمهورُ كثر إلى درجة لم أستطع حصرَها، لكنّه متنوّع بكلّ الفئات، يغلب عليه كبار السّن وقليل من اليافعين، يبدو الجمهور صامتًا، وكأنه يشحذ حواسّه انتظارًا لوجبة يوميّة دسمة تعوَّد عليها، بل وامتزجت بتلك الرّؤوس الهشّة.

تأخّر وقت العرض عدّة دقائق، لا يعلم الجمهور سبب التأخير، فبدأت الهمهمات تتصاعد، بعض الكلمات تتلاحق من هنا وهناك لتفسير السّبب، فجأة ظهر مقدّم الحفل، شابٌ وسيم يافع ذو قوام

وملامح تحيرك في تصنيف نوعه، يبدو أقرب إلى الذّكورة؛ للخشونة البادية في أحباله الصّوتية، رغم ما يمنحها من طبقات أنثويّة، قدّم اعتذاره للجمهور مذيّلًا ببشرى لجمهور الصالة: الليلةَ نقدّم إليكم عضوًا جديدًا في فرقتنا، تعلمون أنّ السّيد "أ.ح" تمّ ترقيته من يومين ليكون قائدَ الأوركسترا، وقد وقع اختيارنا على شخص نهم لوظيفته الجديدة، حيث يطاردها منذ ثلاث سنوات، من فضلكم حيّوا معي الموسيقي الجديد "ر.ي."

ضجَّت الصّالة بالتّصفيق والصّفير إعجابًا بهذا العضو الجديد، فقد سئموا من هؤلاء الذين باتت ألحانهم المتشابهة ماركة محفوظةً، حتّى أنّ الجمهور يسبقهم في عزفها.

دخل"ر.ي." المسرح منحني الهامة إعجابًا بتحيّة الجمهورِ الذي أربكه قليلًا، ثمّ أخذ موقعه في الخلف، فمن طبيعة هذه الوظيفة أن يبدأ عضوُ الفرقةِ الجديدُ السّلمَ الموسيقيّ من (دو.. ري)، ويمرّ بعدّة تجارب واختبارات، حتّى يثبت جدارته، ليتخطّى الرّقاب، ويسمح له بالتّرقّي حتّى درجة قائد أوركسترا، اصطف جميع الموسيقيين وكان

عددهم ستّةً وأربعين، جميعهم وصلوا إلى تلك الخشبة بالواسِطة، لكنّهم في الحقيقة لديهم استعداد فطريّ للتّأقلم والتّكيف. نسيت أن أنوّه أنّ الفرقة الموسيقيّة بارعة في العزف على آلة موسيقيّة واحدة، وهي (الطّبلة). دخلت الرّاقصة الجميلة، التي أجبرت الجمهور على الهتافِ والتّصفيق والأهازيج لنصف ساعةٍ كاملة، منبهرين بهذا السّحر الأخّاذ الخاطفِ للأبصار والبصائِر، والشّهوات، لقد كانت تشبه فتاةَ الكمبيوتر الّتي تتخطّى جميع الفيروسات، فهي ضدُّ المرض والشيخوخة.

ولأنّ (ر.ي.) حديث عهد بهذا العمل دُرِّبَ على عجالة تدريبًا نظريًّا، ولخشية قائد الأوركسترا (أ.ح) من أن يفشل العرض، أعطاه دورًا صغيرًا لا يتجاوز الدّقيقةَ في نهاية العرضِ.

عزفت الفرقة بإشارات موجّهة من المايسترو عزفًا متقنًا متناغمًا، ممّا دعا الرّاقصة أن تقدّم وجبة دسمة من الرّقص الشّرقيّ، تتلوّى مع طَرَقات الطّبل التي تخالها عودًا عربيًّا مرّة، وقد توحي إليك بأنها نايٌ أو كلارينت، أو سكسفون أو بيانو مرات أخرى، في الحقيقة.. إبداع

متواصل، والرّاقصة راضية تمامًا عن أبطالها الّذين شعروا بابتسامتها، فزادهم ذلك إبداعًا، وزهوًّا، وكأنّهم يروِّضون أحصنة بريّة عصيّة، لكنّها سرعان ما تستجيب لهؤلاء السحرة.

أوشك العرض على النّهاية.. وجاء اختبار العضو الجديد، لعله يحدث مفاجأةً، فيضيف حداثةً وتطوّرًا إلى الفريق، فيقنع الجمهورَ القانعَ أساسًا، والغريب أنّ (ر.ي) الّذي تمّ إعداده على عجل، ارتبك فسقط "الدّرامز" من يده، حاول استعادته مرّة أخرى، لكنّ الدّماء تجمّدت في عروقه؛ فقد كانت المرة الأولى التي تحيط فيها أنامله المرتعشة بآلةٍ موسيقيّة موجّهة، فضرب عليها ضرب نشاز فضربت هي اللّحن المتناغم في مقتلٍ.. هاج الجمهورُ وماج، ما هذا؟! إنّه لا يجيد العزفَ.. إنّه لقيط! وما هي إلا ثوانٍ حتّى ألقى الجمهور المسالمُ الأحذيةَ في وجوه الفرقةِ، فهربوا جميعًا إلى السّتارة الّتي نزلت بكابوس لـ(ر.ي).

طرده القائدُ بعد تعنيفه وتهديده بوضعهِ على القائمةِ السّوداء للطّبّالين.

تحقيق

عبده حسين إمام

"كلُّ من باعوا أنفسهم كان المقابل غاليًا، ويستحق أن يغامر ويراهن الإنسان وتهون عليه نفسه من أجل المقابل الذي مهما علا وارتفع لا يفي بقيمة إنسان، أما أنت يا رفيق دربي فلست أدري لماذا بعت نفسك بأبخس الأثمان وألقيت نفسك قانعًا في أحضان الفاسدين والمارقين".

هوت حروفها المسنونة على أسماعه فأربكته وتبللت جفونه برذاذ دموع مهيضة فيأوي إليها بعينين دامعتين متكئًا على مقعده الخشبي في دوار وخجل مشين وعجز يسري بجسده الكهل. تعلم الأستاذة وفاء كم كلماتها قاسية حادة وناقدة نافذة ولكنها تتأكد من قبوله لنقدها وبل ربما استحسانه وهما رفقاء العمل منذ قرابة العشرين عامًا في نفس المكتب منذ شباب ولى في تخبط وتردد وهروب.

يشرع في ترتيب ملف التحقيق قبل الذهاب لإجراء تحقيق في حادثة فساد وتجاوز فج فاحت رائحته حتى زكمت الأنوف، تلك

التجاوزات التي تتم برعاية وبمباركة مدير الفرع ذاك الرجل الذى قفز إلى الإدارة فجأة بل عُنوة ورتب وشكّل جميع الأفراد والأشخاص حسب مفهومه الفاسد وأهوائه المنحرفة، ورغم حداثة سنه والتحاقه بالمؤسسة إلا إنَّه استطاع أن يستحوذ على فكر هذا الكهل الأريب الذي أفنى عمره في ترتيب المخازن وحصر الصادر والوارد والإحاطة بكل الثغرات، و لكنه ظل عقلًا خبيرًا كبيرًا ولكن بلا رؤية من أجل مقعد ثابت وراتب متواتر وعيشة آمنة رتيبة رضي وغض الطرف عن كثير من المفاسد وضاعت هيبته بين مرؤوسيه المتعاقبين على ثبوته خلف مكتبه، كتل من سكون لا يتبدد وكان يتنامى إلى أسماعه ما يطلقه بعضهم عليه في الخفاء وفي العلن أحيانًا من ألقاب بغرض التسفيه والاستخفاف مثل لقب (أبو كرتونة).

يغادر المكتب مودعًا زميلته الجالسة كهرمٍ أبيّ، والشمس تنحدر على خصلات شعرها الرمادية التي تنسدل على وجه لم تفقده الكهولة وخربشات السنين من ألقه ومرحه ويخاطبها: دعواتك يا أستاذة وفاء.

فتنظر إليه بنظرة لوم تكتنزها عيناها التي تزخر في حدقاتها أيام وحكايا، وترمقه كإنسان يستحق العتب، وكحبٍّ قديمٍ فرَّ في ليل خائف وتولى عنها في يوم زحفت فيه المشاعر وأنّت فيه القلوب.

يحاصره المحقق ببعض الأسئلة التي يتخللها تبجيل لسنّه ومعرفة بالحقيقة الكامنة وما تلوكه الألسنة عن فساد هذا الفرع ومديره المدعوم من أساطين كبار يركضون في الخفاء،

المحقق: ماذا تقول فيما هو منسوب إليك من تسهيل صرف مهمات بكميات كبيرة لا تتناسب مع حجم العمل بهذه المأمورية؟

فيرد على المحقق: كل شيء تم بتعليمات السيد مدير الفرع، وبعد الدراسة والتدقيق من السادة بالقطاع الفني.

وأخرج استمارة صرف بالأمر المباشر، تحمل توقيع المدير تعتلي توقيعه الصغير الباهت، يتفحصها المحقق الشاب في ريبة وحصافة فينهي التحقيق مخليًا مسؤوليته عن الحدث.

فيسأل المحقق في لهفة وأرق: ألست أستحق العقوبة؟

فيبتسم المحقق: نعم يا سيدي لا تستحق، فأنت خارج دائرة الصراعات وتصفية الحسابات.

بابتسامة وبنوة حانية، وكأن لسان حال المحقق يقول ما أنت إلا دُمية تعبث بها رياح الأشقياء.

يخرج بريئًا آمنًا لم تهتز مملكة انزوائه وهُدنته مع رؤوس الشياطين لكن قلبه ينبض في انقباض وتحيطه مشاعر حزن وامتهان تقتل فرحته بإخلاء سبيله وعدم إدانته في التحقيق غير المفاجئ وهو الذي يعلم أن ما حدث تجاوز وما جرى هو أمر بالباطل صاغته أياد وعقول مَرَدَة تدري كيف تصوغ الموبقات في أغلفة من البراءة والمعروف.

وانصرف آسفا على عِزٍّ لم ينله وعلى شرفٍ لم يدركه، شرف نيل العقوبة، فعندما يكون العقاب معادلًا للرفض والثورة يصبح العقاب وسامًا وشرفًا لصاحبه.

مَرزُوقة

إيهاب سليمان

بدَت بطلعتِها البهية على خشبةِ المسرح وهي تتقدم في خطواتٍ رشيقةٍ واثقةٍ إلى مُنتصف المسرح لتسلم جائزتها البرّاقة ذهبية اللون وتعلو محياها ابتسامة ساحرة تكشِف عن أسنانٍ ناصِعة البياض صفَّت كحبَّاتِ لؤلؤٍ، تَلتَمِعُ عَينَيها في جزلٍ ونشوةٍ.

ما إن وصلَت إلى الرجل الذي يَحمِل جائزتها حتَّى صافَحتهُ بحرارة وهي تمسك بيدها الأُخرَى الجائزة وتُديرُ وجهها تجاه الجمهور لتستقبل تصفيقًا حادًّا وانطلاق عدسات المصورين تتسارع في عجلٍ محمومٍ خاطفة للأبصارِ عنوة في محاولةٍ مِنهُم لالتقاط أكبر عددٍ ممكنٍ من الصور لهذه النجمة المحظوظة.

"مرزوقة الصايغ" كان هذا اسمها، لطالما خاضت مناقشاتٍ ومجادلات عِدة مع المنتجين والمخرجين اللذين كانوا يُصِرّون ولازالوا على منحها اسمًا فنيًّا لثقل اسم "مرزوقة" على الجمهور فهو اسم غير معهود مغرقٌ في القدم، ولكنَّه مشبَّع بروح اللغة العربية الأصيلة،

ولكن لم يكن هذا سر إصرارها على عدم تغيير اسمها ولكن كان السبب يكمن في المعنى الحقيقي للاسم، "مرزوقة" أي لها نصيب وافر من الحظ، وتيمنًا بهذا المعنى انطلقت "مرزوقة" في مسيرتها الفنية مصحوبة بفأل الرزق الوافر، ومصحوبة أيضًا بنظراتِ المعجبين التي كانت تزيد يومًا بعد آخر ويزيد معها كم الحليّ البراقة التي تُزين جيدَها العاجي وأصابعها المرمرية ورسغها الرقيق.

انحنت "مرزوقة" تحية لجماهيرها المحبة ورفعت جائزتها عاليًا بكِلتا يديها وظلّت لثوانٍ ثابتةً على هذا الوَضع مانِحةً الفُرصة لعدسات المصورين لنهش جسدها الممشوق المرسوم داخل الفستان الضيق الذي يبرق بحباتٍ من الكريستال النقي.

في هذه اللحظات القَليلة غاصت "مرزوقة" في بحر أفكارها العميق متسائلة: إذا كانت الحياة قد منَّت عليّ بكل هذه النعم: الصحة، والمال، والجمال والشهرة.. ولا يوجد ما أفتقده في هذه الحياة، فلماذا إذا تغزوني تلك الدموع ليلًا؟ لماذا أشعر بتلك الغصة تخترق حلقي غسقا؟ لماذا أنا مكرهة على الحياة بوجهين على النقيض من بعضهما تمامًا

والأدهى أن كلاهما لا يعبر حقيقةً عن ماهيتي الحقيقية الدفينة؟

أمام عدسات الكاميرا أنا النجمة المتألقة التي تستقي منها الفتيات آخر خطوط الموضة مشبعين بشعور قوي هو مزيج بين الإعجاب والغيرة في آنٍ واحد، أما الشباب فهم يستقون منّي شيئا آخر.

أما خلف الكواليس فأنا النجمة أيضًا ولكن المتعجرفة الحانقة على جميع المحيطين بها ممن هم في خدمتها دومًا على كافة المستويات.

أما ماهيتي الحقيقية فهي المرأة التعيسة التي انغمست في الثراء والشهرة بما يمثلان من طاقة إيجابية ورغم ذلك تعاني من الوحدة، وتعاني من الخوف.. نعم الخوف، فكلما ازدادت لذة النعمة كلما ازدادت لوعة الفقدان ألمًا.

ماذا سيحدث عندما يذهب الجمال وتزحف التجاعيد على قسمات وجهي بقسوة بلا رادع مخلفةً جسدًا مترهلًا غير مرغوب لم يبق منه إلَّا آثارًا مطموسة من جمال قد ولى، وتنحسر أضواء الشهرة وتنسحب السجادة الحمراء من تحت قدمي وتتجه عدسات المصورين والفلاشات البراقة إلى من هي أكثر مني جمالًا وأوفر حظًّا وأقل عمرًا

بالطبع؟ ماذا سيبقى؟ فأنا بلا وليفٍ أو ونيسٍ يؤنس وحشتي، وبلا أبناء، فقد أراد القدر أن أُحرم إلى الأبد من شعور الأمومة على إثر عملية جراحية كنت قد خضعت لها منذ سنوات لاستئصال جزءٍ أصيلٍ وضروريٍّ لإتمام عملية الحمل بنجاح.

وقد أورثتني شهرتي وجمالي شعورًا قويًّا بالاستغناء عن الرجال بتحكماتهم البلهاء.

أفاقت "مرزوقة" وطفت على سطح بحر أفكارها ذو الأمواج المتلاطمة على صوتٍ يدوي في مكبرات الصوت باسمها في حماس: مرزوووووقة.

فانتبه وعيها لواقعها مرة أخرى وبابتسامة مغتصبة أبرزت خلجاتٍ على جانبي عينيها دلالة على زيف ابتسامتها وهي تقبض بكلتا يديها على جائزتها الذهبية تضمها لصدرها فخرًا وتهبط درجات المسرح متهاديةً وسط تصفيقٍ هائلٍ من الجمهور وفلاشات الكاميرات وهي تسير على بساطها الأحمر بفخرٍ ورويَّة تنثر ابتساماتها وإيماءاتها

الممتنة على المحيطين ولازالت هناك غصةٌ تغزو حلقها ولوعةٌ تعتصر قلبها.

همس أحد الصحفيين في أذن مرافقه مبتسمًا: يا لها من امرأة قد منَّت عليها الحياة بكل سبل النعم، أليست محظوظة حقًّا؟ بورك من سماها بهذا الإسم؛ إنها صدقًا مرزوقة.

الفهرس

شواهد القبور ٧
الباب المُغلق ١٥
ذكرى بيانو ٢١
حكايات لم تروها جدتي ٣١
كل هذه الوجوه لا أعرفها ٣٥
قرية خبيثة ٤٣
بطاقة وملابس جديدة ٥٣
نـزوة ٦١
أصفاد ٦٧
لا تشعل الأضواء ٧٣
آسفين يا صلاح ٨١
الدّرامز والدّريمز ٨٩
تحقيق ٩٣
مَرزُوقَة ٩٧

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

نشر كل إنتاج إبداعي بجودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، حتى لا ينزف الوعي من ثقوب الذاكرة، بأعمال تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة، والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.